

## الباب الثاني أثر المحبة في الدعوة إلى الله وفق الكتاب والسنة

### الفصل الأول: أثر المحبة في الداعية والمدعو

#### المبحث الأول: أثر المحبة في الداعية

المطلب الأول : الصفات

المطلب الثاني : العلاقات

#### المبحث الثاني: أثر المحبة في المدعو

المطلب الأول : طلب الهداية

المطلب الثاني : مواقف الاستجابة

### الفصل الثاني: أثر المحبة في أساليب و وسائل الدعوة

#### المبحث الأول: أثر المحبة في أساليب الدعوة

المطلب الأول : أثر المحبة في الحكمة و الموعظة الحسنه

المطلب الثاني : أثر المحبة في الجدل و الجهاد

#### المبحث الثاني: أثر المحبة في وسائل الدعوة

المطلب الأول : أثر المحبة في الوسائل المعنوية

المطلب الثاني : أثر المحبة في الوسائل المادية

### الفصل الثالث: أثر المحبة في مجالات الدعوة

#### المبحث الأول: أثر المحبة في العقيدة و العبادات

المطلب الأول : أثر المحبة في العقيدة

المطلب الثاني : أثر المحبة في العبادات

#### المبحث الثاني: أثر المحبة في الأخلاق و المعاملات

المطلب الأول : أثر المحبة في الأخلاق

المطلب الثاني: أثر المحبة في المعاملات



## الباب الثاني

# أثر المحبة في الدعوة إلى الله وفق الكتاب والسنة

### تمهيد

التعريف اللغوي للدعوة :

الدعوة في اللغة من (دعا يدعو) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاءً. وتداعت الحيطان، وذلك إذا سقط واحدٌ وآخر بعده، فكان الأول دعا الثاني، ودواعي الدهر: صروفه، كأنها تُميل الحوادث. ومن الباب: ما بالدار دُعويٌّ، أي ما بها أحدٌ، كأنه ليس بها صائحٌ يدعو بصياحه<sup>(١)</sup>). أورد الجوهري في الصحاح: (الدعوة إلى الطعام بالفتح. يقال: كنا في دعوة فلان ومذاعة فلان، وهو في الأصل مصدرٌ، يريدون الدعاء إلى الطعام. والدعوة بالكسر في النسب، يقال: فلان دعي بين الدعوة والدعوى في النسب. والدعي أيضاً: من تبنّيته. قال تعالى: (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ)<sup>(٢)</sup>. وادّعت على فلان كذا. والاسم الدعوى. والادعاء في الحرب: الاعتزاز، وهو أن يقول: أنا فلان بن فلان. وتداعت الحيطان للخراب، أي تهادمت. والأدعية مثل الأُحجية. والمُداعاة: المُحاجة. يقال: بينهم أدعيةٌ يتداعون بها<sup>(٣)</sup>). وفي لسان العرب لابن منظور: ( والدعاء واحد الأدعية وأصله دُعا ولأنه من دَعَوْتُ إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف هُمزت، وتقول للمرأة أنت تدعين وفيه لغة ثانية أنت تدعوين وفيه لغة ثالثة أنت تدعين يا شمام العين الضمة، والجماعة أنثن تدعون مثل الرجال سواءً، قال ابن بري: قوله في اللغة الثانية أنت تدعوين لغة غير معروفة. والدعاء الأئمة يُدعى بها كقولهم السبابة كأنها هي التي تدعو، كما أن السبابة هي التي كأنها تسب<sup>(٤)</sup>).

ومما جاء في القرآن الكريم عنها قول الله تعالى :

( وَنُسِخَ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَتِ كُلُّ مَنَ خِفَتِهِمْ وَبُرْسِلُ الصَّوَاعِقِ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، (٢٧٩/٢).

(٢) سورة الأحزاب : ٤ .

(٣) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠ هـ، (٢٠٦/١).

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، (٢٥٧/١٤).

بِبَلِيغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ<sup>(١)</sup> قال الإمام الطبري في تفسيره : ( وإنما عني بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله )<sup>(٢)</sup> .

وقال الله تعالى في حق مؤمن آل فرعون في دعوته إياهم إلى الحق : ( وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ<sup>(٣)</sup> تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ<sup>(٤)</sup> لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبْنَاءُ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ<sup>(٥)</sup> فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ )<sup>(٦)</sup> ، قال ابن كثير في تفسيره : ( قول لهم المؤمن: ما بالي أدعوكم إلى النجاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله الذي بعثه ) وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ . تَدْعُونَنِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ( أي: جهل بلا دليل ) وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ( أي: هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه، ) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ يقول: حقا. قال السدي وابن جرير: معنى قوله: ( لَا جَرَمَ ) حقا. وقال الضحاك: ( لَا جَرَمَ ) لا كذب. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ( لَا جَرَمَ ) يقول: بلى، إن الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد ( لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ) قال مجاهد: الوثن ليس بشيء. وقال قتادة: يعني الوثن لا ينفع ولا يضر. وقال السدي: لا يجب داعيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة )<sup>(٧)</sup>

الدعوة إلى الله بين التعريف الاصطلاحي والمعنى العلمي الشرعي :

لقد عرف أهل العلم وأهل التخصص الدعوة إلى الله في تعريفات أو مفاهيم شاملة، منها :

١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حب المؤمنين لله والدعوة إليه: ( والحب يوجب الذل والطاعة، والإسلام أن يستسلم لله لا لغيره، فمن استسلم له ولغيره فهو مشرك، ومن لم يستسلم له فهو متكبر، وكلاهما ضد الإسلام ، والقلب لا يصلح إلا بعبادة الله وحده وتحقيق هذا تحقيق الدعوة النبوية، ومن احبة الدعوة إلى الله، وهي: الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم بما أمروا به، فالدعوة إليه من الدعوة إلى الله تعالى. وما أبغضه الله ورسوله فمن الدعوة إلى الله النهي عنه. ومن الدعوة إلى الله أن يفعل العبد ما أحبه الله ورسوله، ويترك ما أبغضه الله ورسوله، من الأقوال

(١) سورة الرعد: ١٣- ١٤ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، (٣٩٧/١٦).

(٣) سورة غافر: ٤١ - ٤٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، (١٤٥/٧).

والأعمال الباطنة والظاهرة، بما أخبر به الرسول من أسماء الله وصفاته، ومن سائر المخلوقات كالعرش والكرسي والملائكة والأنبياء، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما<sup>(١)</sup>.

٢) بين الشيخ عبد العزيز بن باز المقصود من الدعوة، فقال : ( أما المقصود من الدعوة والهدف منها: فالمقصود والهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به، وينجوا من النار، وينجوا من غضب الله، وإخراج الكافر من ظلمة الكفر إلى النور والهدى، وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم، والعاصي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة، هذا هو المقصود من الدعوة )<sup>(٢)</sup>

٣) وقال محمد بن إبراهيم التويجري في موضوع الدعوة : ( هو التعريف بالإسلام من حيث أركانه الخمسة، وخصائصه وآدابه العامة، وأنظمتها الاجتماعية والاقتصادية، ومقاصده العامة التي تحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال )<sup>(٣)</sup>.

٤) تعريف الدكتور عبد الكريم زيدان، قال في منهج كتابه : ( نقصد بالدعوة، الدعوة إلى الله، قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني...) والمقصود بالدعوة إلى الله، الدعوة إلى دينه وهو الإسلام، إن الدين عند الله الإسلام، الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى. فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها )<sup>(٤)</sup>

٥) الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني عرف علم الدعوة بقوله : ( مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه )<sup>(٥)</sup>.

٦) الدكتور جمعه الخولي، قال في مقدمة كتابه<sup>(٦)</sup> : ( فإن الدعوة إلى الله معالم يجب إبرازها، ومناهج يحسن الاستفادة منها، وتاريخ ينبغي شرحه ودرسه ) وقال في بيان المقصود بتاريخ الدعوة : ( المقصود بتاريخ الدعوة : الوقوف على قصة الإيمان على ظهر هذه الأرض، وتاريخ الصراع بين الحق والباطل على صفحة الوجود، وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم، وكيف يجني من يزرع الخير، ويحصد من يزرع الشوك، وكيف تعمل سنن الله في المجتمعات بلا محاباة ولا جور، وما هي معالم الطريق الذي سار عليه الأنبياء من أولهم إلى خاتمهم محمد ﷺ؟ ومتى عرفت البشرية ربها وأقرت بتوحيده وعظمته؟.... وكيف تسلسلت الرسالات

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحارثي، تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦ هـ، ج ١٥، ص: ٢٨.

(٢) من أقوال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الدعوة إلى الله، زياد محمد السعدون . الرياض : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط ١. ١٤٢٧ هـ، ص: ١٩ .

(٣) الدعوة إلى الله، محمد بن إبراهيم التويجري، الرياض : دار الأصاله للثقافة ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، ص: ٥٣.

(٤) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٩ هـ، ص: ٥.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١ ، ١٤١٢ هـ، ص: ١٤.

(٦) تاريخ الدعوة، د. جمعة علي الخولي، مصر: دار الطباعة احمديّة، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ، ص: ٣. ص: ١٩.

حتى ختمت بالرسالة الخاتمة؟ وكيف كانت جهود الأنبياء في حراسة اليقين والأخذ بحجزات البشرية عن النار؟ وما هي معالم الرسالة الخاتمة ولم اتصفت بالختم والمهيمنة؟ وكيف انتشرت في العالمين حتى أضاءت المشرق والمغرب؟ وما وصف الرجال الذين بلغوها وحملوها؟

(٧) عرفها الدكتور عبد الرحيم المغدوي بعد أن ساق عشرين تعريفا لغيره، وقال في تلك التعاريف، معلقا عليها : ( كما يلاحظ على التعاريف السابقة تركيز بعضها على مفهوم الدعوة بمعنى الدين، كما يركز بعضها على مفهوم الدعوة بمعنى النشر والتبليغ، كما يذهب بعض المؤلفين إلى التفريق بين المعنيين أو المفهومين، وذلك راجع في نظري إلى أن الدعوة من المعاني الواسعة والعميقة والشاملة، وليست من المعاني القاصرة أو البسيطة. وهي بذلك تتناول تلك المعاني وتزيد عليها). أما تعريفه فقال : ويمكن لنا بعد ذلك كله أن نورد تعريفا آخر للدعوة متضمنا لمقوماتها الأساسية. فنقول الدعوة إلى الله هي : ( قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام، إلى الناس كافة، وفق المنهج القويم، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين، ويلائم أحوال وظروف المخاطبين في كل زمان ومكان )<sup>(١)</sup>.

وعند بيان التعريف العلمي للدعوة إلى الله، أرى أن نفرق بين التعريف العلمي وبين المعنى العلمي، فالتعريف تم الاصطلاح عليه، في تحديد المعنى الجامع المانع للمراد تعريفه، وهذا لا يمكن تطبيقه على مصطلح الدعوة إلى الله. لما ذكر الدكتور عبد الرحيم المغدوي أنه من المعاني الواسعة والعميقة والشاملة، وأرى الصواب أن نقول: بيان المعنى العلمي أو الشرعي للدعوة إلى الله، ويمكن لي أن أصفها علميا بهذا الوصف : ( الدعوة إلى الله هي أصل دعوات الرسل عليهم السلام، من الدعوة إلى تحقيق توحيد الله، والقيام بأوامره، واجتناب نواهيه. وأعظمها الإيمان بالرسالة الخاتمة التي بعث بها رسولنا ونبينا محمد ﷺ إلى الناس كافة، عقيدة وعبادة وخلقا ومعاملة وسلوكا ومنهجيا. فالدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإسلام، ببيان ما أمر الله به وما نهى عنه، على نهج وسنة رسوله محمد ﷺ ). وكل مسلم يكون داعيا إلى الله؛ بما علم وعلم، ويكون مدعوا؛ بما غفل عنه وجهل، وكل غير المسلمين هم مدعوون إلى الإسلام.

إن الدعوة إلى الله مهمة الرسل عليهم السلام، ومضمون دعوتهم الرسالات بما تحمله وتدعو إليه من عقيدة وتشريعات، بين نفي وإثبات، وبين متابعة أو تجديد وبين ناسخ ومنسوخ؛ حيث استقرت على دين الإسلام توحيدا وشرعية في خاتمة الرسالات، وختام نبوة النبوات، وهي رسالة الإسلام وما جاء به خير المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ. وتتجلى الحجة في الدعوة إلى الله، من لدن آدم عليه السلام إلى الرسالة الخاتمة في مواقف عظيمة، مؤثرة في الدعاة والمدعوين، وظاهرة في أساليب ووسائل الدعوة، وبارزة في جميع مجالاتها من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الرحيم محمد المغدوي، الرياض: دار الحضارة، ط ١، ١٤٢٩ هـ، ج ١، ص: ٤٧

يَا لَوْنَكُمْ حَبَالًا وَدُؤَا مَا عَيْتُمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٧٥﴾ هَتَأْتُمْ أَوْلِيَاءَ غُحْبُوتِهِمْ وَلَا تُحِبُّونَهُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ<sup>(١)</sup> هذه الحال التي بينها الله تعالى هي الواقعة بين أهل الحق وأهل الباطل في كل من خالف أهل الإيمان في تاريخ الدعوة إلى الله؛ وهي أن أهل الباطل يتخللون بعلاقاتهم في المجتمع المؤمن، ويتربصون بهم؛ يريدون لهم الخبال ويلحقون بهم الفساد، ويريدون لهم الانهزام، وقد يبدون لهم العداوة باللسان، وما يخفون في قلوبهم من البغضاء أكبر، لأن المحبة نزع من قلوبهم سواء للحق أو لأهله من أهل الإيمان، وحذر الله المؤمنين أهل الدعوة الحق، من هؤلاء وخاصة من محبتهم التي تقرهم زلفى، قال الإمام الطبري في تفسيره: ( يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم "لا تتخذوا بطانة من دونكم"، يقول: لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم "من دونكم" يقول: من دون أهل دينكم وملئكم، يعني من غير المؤمنين. وإنما جعل "البطانة" مثلاً لخليل الرجل، فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه، لحوله منه - في اطلاعه على أسرارهم وما يطويه عن أبعده وكثير من أقاربه - محل ما ولي جسده من ثيابه. فهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصفياء، ثم عرفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة، وبغيتهم إياهم الغوائل، فحذرهم بذلك منهم، ومن مخاللتهم<sup>(٢)</sup>. أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الناس، وأوضح المحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وحذرهم من عدوهم الشيطان، ووعدهم الجزاء على أعمالهم يوم القيامة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتُمُونَ لَذَلِكَ وَ قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ فَيَلْهَمُونَ لَذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا قَالَ فَيَأْتُونَ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْخَلْقِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا وَلَكِنْ أَتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ قَالَ فَيَأْتُونَ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا وَلَكِنْ أَتُوا إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَتَأْخُذُهُ اللَّهُ خَلِيلًا فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا وَلَكِنْ أَتُوا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا وَلَكِنْ أَتُوا عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ أَتُوا مُحَمَّدًا

(١) سورة آل عمران: ١١٨ - ١١٩.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ١٣٨-١٣٩.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِي فَاسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ قُلْ تُسْمِعُ سَلْ تُعْطِ اشْفَعْ تُشَفِّعْ فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِيهِ رَبِّي ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُوذُ فَأَقْعُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ قُلْ تُسْمِعُ سَلْ تُعْطِ اشْفَعْ تُشَفِّعْ فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ فَلَا أَذْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ فَأَقُولُ يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم شرعا أن الدعوة الإسلامية، هي الدعوة إلى الإسلام بما تضمنه من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات وتشريعات، ومن واجبات الدعاة إلى الله لزوم صراط الله المستقيم وسلوك نهج الأنبياء والمرسلين في البلاغ والتبيين، واقتفاء أثر نبينا محمد ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين لهم بإحسان في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، والجهاد في سبيل الله وفق أحكام الدين. ولمكانة الدعوة إلى الله وأهميتها في العصر الحاضر؛ فقد عنيت بها الدول الإسلامية - وعلى رأسها دولتنا المملكة العربية السعودية - والمنظمات الإسلامية، منهجا ودراسة، تأصيلا وتطبيقا. ومن أبرز ما يشار إليه هنا الاهتمام المباشر بها ضمن أحد الكيانات الجامعة للمسلمين، فقد عقدت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، مؤتمر مكة المكرمة الثاني عشر برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين، الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - بعنوان: (الدعوة الإسلامية.. الحاضر والمستقبل) وذلك في مقرها بمكة المكرمة، في الفترة من ٣ - ٦ / ١٢ / ١٤٣٢ هـ، وأوضح معالي الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام للرابطة، وعضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية عبر وسائل الإعلام<sup>(٢)</sup>، أن مؤتمر مكة المكرمة الذي تعقده الرابطة في موسم الحج كل عام يتصل بمؤتمر مكة المكرمة الأول الذي دعا إليه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يرحمه الله علماء الأمة للاجتماع في مكة المكرمة عام (١٣٤٥ هـ) لدراسة واقع المسلمين والمشكلات التي تواجههم. وأوضح أن الرابطة اختارت لمؤتمر مكة المكرمة الثاني عشر موضوع: (الدعوة الإسلامية.. الحاضر والمستقبل) لتقويم مسار الدعوة والمشكلات التي تواجهها في الوقت الحاضر، ووضع برامج دعوية متنوعة تراعي حاجة المجتمعات الإسلامية والأقليات المسلمة، إلى جانب دراسة أولويات الدعوة وأساليبها في المجتمع الإنساني. وبين معاليه أن الرابطة وجهت الدعوة لعدد من العلماء وأساتذة الجامعات ومسؤولي المراكز والجمعيات الإسلامية في العالم للمشاركة في المؤتمر، ومناقشة موضوعه من خلال بحوث وأوراق عمل تعالج محاوره المحددة في أربعة محاور، تتضمن موضوعات متنوعة، وفق ما يلي:

(١) انظر : صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها حديث رقم: ٢٨٧ (١/٤٤٨) .

(٢) جريدة المدينة المنورة ، العدد رقم: ١٧٧٢٣ تاريخ: ٥/١٢/١٤٣٢ هـ - ١٠ نوفمبر ٢٠١١ م .



المحور الأول: أصول الدعوة الإسلامية وحقيقتها: الدعوة فريضة شرعية - الدعوة ضرورة إنسانية - منهج الأنبياء في الدعوة - فقه الدعوة في ضوء الكتاب والسنة.

المحور الثاني: حاضر الدعوة وتحدياتها: انجازات في مجال الدعوة - الدعوة في مجتمع الأقليات - إشكاليات الدعوة وتحدياتها.

المحور الثالث: الدعوة الإسلامية.. رؤى وتطلعات: الحوار الحضاري والعمل الدعوي - الإعلام والتقنية الحديثة والعمل الدعوي - الدعاة والخطاب الديني.

ولقد أسلفت البيان في الفصل الثاني من الباب الأول عن الوصف الشامل للمحبة وفق نصوص الكتاب والسنة ومدى تأثيرها في العلاقات من زاويتين: الصلات الحميدة والصلات الذميمة، وحيث أن المحبة من العوامل الهامة في الدعوة إلى الله، ولها الأثر العظيم في أركان الدعوة، وحيث ترتبط بها نتائج الدعوة وفق مقتضيات الشريعة، فهي صفة ذاتية مرغوبة وسمة اجتماعية مطلوبة، ومدخل حكيم في الأساليب والوسائل، وركيزة يحتكم إليها في تكوين العلاقات، وأصل في مجالات الدعوة من العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات، فإنني في هذا الباب أفرد البيان بما للمحبة من أثر في أركان الدعوة بالمفهوم الشامل وفق الدلائل الصريحة بلفظ الحب في الكتاب والسنة. ولسوف أعرض هذا الأثر في ثلاثة فصول، ولكل فصل مبحثان، وتحت كل مبحث مطلبان:

الفصل الأول: أثر المحبة في الداعية والمدعو.

الفصل الثاني: أثر المحبة في أساليب ووسائل الدعوة.

الفصل الثالث: أثر المحبة في مجالات الدعوة.



## **الفصل الأول**

### **أثر المحبة في الداعية والمدعو**

#### **المبحث الأول: أثر المحبة في الداعية**

**المطلب الأول : الصفات**

**المطلب الثاني: العلاقات**

#### **المبحث الثاني: أثر المحبة في المدعو**

**المطلب الأول : طلب الهداية**

**المطلب الثاني: عوائق الاستجابة**



## الفصل الأول أثر المحبة في الداعية والمدعو

### المبحث الأول: أثر المحبة في الداعية

يجب أن تكون المحبة صفة ملازمة للداعية، بأن يحب الخير للناس كافة وأن يسعى لإدخال السرور على المدعويين بما يحبون من المباحات ويحبهم في اتباع الحق ويعمل على أن يكون محبوباً لهم وللناس، قال الله تعالى: (فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)<sup>(١)</sup> ومن هذه الآية ندرك وجوب معالجة الداعية لبواطن نفسه ومكونات ذاته الداخلية؛ لما لها من أثر في منهجه ودعوته وأخلاقه وسلوكه، فإن القلب يقوم عليه مدار العقل والتفكير بما يحمل من أفكار وثقافة وعلم، قال الله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ مِنْهَا)<sup>(٢)</sup> فإن القلب الغليظ سبب في التنفير لما يحدثه من قسوة في السلوك وفظاظة في الأخلاق، فأول خطوة يقوم بها الداعية العمل الجاد على صلاح قلبه بدءاً بصلاح النية والحرص على التقوى التي محلها القلب، وتركيزه لنفسه بالبعد عن محبتات النفس من الحسد والحقد والبغضاء وحظوظ الدنيا الزائفة، كما يجب عليه أيضاً العمل الدؤوب على أن يعمر قلبه بالحب ويغمره بالطمأنينة، وجوهر ذلك لزوم ذكر الله والقرآن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه أمراض القلوب وشفائها: (فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب؛ فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها، كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي، ويغذي القلب من الإيمان والقرآن بما يزيه ويؤيده كما يتغذى البدن بما ينميهِ)<sup>(٣)</sup> ولما كان قلب الداعية عقل دعوته وعلمه نورها وأخلاقه مرآتها، أصبحت المحبة ذات صلة قوية بدعوة الداعية وشخصيته، فإن العقل والعلم والأخلاق أسس في محبة الناس للداعية والاستجابة للحق من طريقه؛ لذا أحببت البيان هنا ما للمحبة من أثر في صفات الداعية وعلاقاتها.

### المطلب الأول: أثر المحبة في صفات الداعية

إن المحبة من أولى المؤثرات في شخصية الداعية، ولها أثر في دعوته، وقبل أن يتلقى المدعو الدعوة فإن نظره وسمعه وعقله وقلبه مع هذا الشخص الذي يدعوه. من هو؟ وماذا يريد؟ وبعد أن يسمع منه يقول في نفسه: كيف هو مع ما يدعوه إليه؟ فإن ألقى له محبة في النفس استجاب له، وإن لم يكن له قبولا امتنع المدعو عن الاستجابة له، وقد يمتنع عن الحق منه ومن غيره مع قناعته به، نفرة من الداعية بسبب صفاته، وانحرافاً عن الفهم الصحيح الذي يجب أن يكون عليه حين ربط الحق بالشخصيات، ومن ذلك نعلم أهمية

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة الحج: ٤٦.

(٣) أمراض القلب وشفائها، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، القاهرة: المطبعة السلفية، ط ٢، ١٣٩٩هـ،

التزام الداعية بالصفات الحسنة، والأساليب القويمة في دعوته، حيث هو محل قدوة ونقد، وتصرفاته محمولة على أنها منهج الدين الذي يدعو إليه، لذا كان لزاما عليه أن يمثل الصفات التي يحبها الله تعالى ودعا إليها رسوله ﷺ، وهي كما تم إيضاحه في الباب الأول فإن الله يحب: المحسنين والمقسطين والمتقين، والتائبين والمطهرين، والصابرين والمتوكلين، والمقاتلين في سبيل الله صفا، وكذا كان لزاما على الداعية أن يتعد ويحذر من مساخط الله، والصفات التي لا يحبها الله، فإن الله لا يحب الظالمين والمفسدين، والكافرين والمعتدين، والجاهرين بالسوء من القول بلا مظلمة، والمختالين بطرا وفخرا، و الخائنين والمستكبرين، والفرحين غرورا. بل إن النبي ﷺ هو القدوة الحسنة في صفاته وأخلاقه وهيئته، وأنه من خالطه معرفة أحبه وكذلك يجب أن يكون الداعية، ومن جميل وصفه ﷺ كما ورد في الأثر، عن إبراهيم<sup>(١)</sup> بن محمد من ولد علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَصَفَ النَّبِيَّ قَالَ: لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُمَغْطِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُرْدَّدِ، وَكَانَ رُبْعَةً<sup>(٢)</sup> مِنَ الْقَوْمِ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطُطِ وَلَا بِالسَّبَطِ كَانَ جَعْدًا رَجُلًا<sup>(٣)</sup>، وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ<sup>(٤)</sup>، وَلَا بِالْمُكَلَّمِ<sup>(٥)</sup>، وَكَانَ فِي الْوَجْهِ تَدْوِيرٌ أبيضٌ مُشْرَبٌ، أَدْعَجُ<sup>(٦)</sup> الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ<sup>(٧)</sup>، جَلِيلَ الْمُشَاشِ وَالْكَتَدِ<sup>(٨)</sup>، أَجْرَدَ ذُو مَسْرُوبَةٍ<sup>(٩)</sup>، شَتْنُ<sup>(١٠)</sup> الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ<sup>(١١)</sup>، وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ مَعًا، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النَّبُوَّةِ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًا

(١) إبراهيم بن محمد بن المنتشر. ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات) وقال يعقوب بن سفيان: شريف كوفي ثقة. وكان رجلا صالحا فاضلا. وقال العجلي: كوفي ثقة. وقال أبو زكريا يحيى بن معين فيما رواه عنه عباس: ثقة. وكذا قاله ابن سعد في كتاب (الطبقات) انظر: إكمال تهذيب الكمال لعلاء الدين مغلطي بن قليج. (١/٢٨٤).

(٢) ورُبْعَةً ورُبْعَةً: أي مربووع الخلق لا بالطويل ولا بالقصير. انظر لسان العرب لابن منظور (٩٩/٨).

(٣) (جعد) الجيم والعين والدال أصل واحد، وهو تقبُّض في الشيء. يقال شعر جَعْدٌ، وهو خلاف السَّط. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٦٢/١). أي شعره ليس خشنا متلبدا وليس مسترسلا، بينهما، ولكن شعره سهل الترجيل والتمشيط.

(٤) من (طهم) قال ابن الأثير: لم يكن بالمطهَّم وهو الْمُتَفَحُّ الْوَجْهِ وقيل الفاحشُ السَّمْنِ، وقيل النحيفُ الجِسْمِ وهو من الأضداد. انظر لسان العرب لابن منظور (٣٧٢/١٢).

(٥) من (كلثم) الكلثوم الكثير لحم الخدين والوجه و الكَثْمَةُ اجتماع لحم الوجه. انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٢٥/١٢).

(٦) الدَّعَجُ والدُّعْجَةُ السَّوَادُ وقيل شدة السواد وقيل الدَّعَجُ شدة سواد العين وشدة بياض بياضها وقيل شدة سوادها مع سعتها. انظر لسان العرب لابن منظور (٢٧١/٢).

(٧) من (شفر) الشين والفاء والراء أصل واحد يدل على حد الشيء وحرِّفه. من ذلك شَفْرَةُ السَّيْفِ: حدُّه. وشَفِيرُ البئر وشَفِيرُ النَّهْرِ: الحد. والشُّفْرُ: مَنِيَتُ الهُدْبِ من العين، والجمع أشفار. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠٠/٣). ورجل أَهْدَبُ طَوِيلُ أَشْفَارِ الْعَيْنِ النَّابِتِ كثيرُها. انظر: لسان العرب لابن منظور (٧٨٠/١).

(٨) الْكَتْدُ وَالْكَتْدُ مُجْتَمِعُ الْكَفَّيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْفَرَسِ وَقِيلَ هُوَ الْكَاهِلُ وَقِيلَ هُوَ مَا بَيْنَ الْكَاهِلِ إِلَى الظَّهْرِ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٣٧/٣). أي كبير العظام والكاهل وقويها.

(٩) قال ابن الأثير: الأجرد الذي ليس على بدنه شعر ولم يكن ﷺ كذلك، وإنما أراد به أن الشعر كان في أماكن من بدنه كالمسربة - الصدر - والساعدين والساقين، فإن ضدَّ الأجرد الأشعر وهو الذي على جميع بدنه شعر. انظر: لسان العرب لابن منظور (١١٥/٣).

(١٠) من (شش) الشين والثاء والنون. الشَّتْنُ: الغليظ الأصابع. وكلُّ ما غلظ من عضو فهو شَتْنٌ. وقد شَتْنُ وشَتْنٌ. والله أعلم. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٥/٣).

(١١) من (صب) الصاد والباء أصل واحد، وهو إراقة الشيء، وإليه ترجع فروغ الباب كله. من ذلك صَبَبَتِ الْمَاءُ أَصْبَهُ صَبًّا. وَيُحْمَلُ عَلَى ذَلِكَ فَيَقَالُ لِمَا انْحَدَرَ مِنَ الْأَرْضِ صَبَبٌ، وَجَمْعُهُ أَصْبَابٌ، كَأَنَّهُ شَيْءٌ مُنْصَبٌّ فِي انْحِدَارِهِ. وفي الحديث: "أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى فَكَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ". انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٨٠/٣).

وأشرحهم صَدْرًا، وَأَصْدَقَ النَّاسَ لَهْجَةً، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكََةً<sup>(١)</sup>، وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً، مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةٍ هَابَةٍ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعْتُهُ لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ<sup>(٢)</sup>.

ومما ورد في الكتاب والسنة عن أثر المحبة في الداعية بلفظ الحب ما يمكن لنا إجماله على أوجه من خلال صفات الداعية التالية:

## أولاً: الصفات الإيمانية:

### ١) الإخلاص في الدعوة إلى الله ومعرفة فضلها:

إن الداعية إلى الله عندما يسلك طريق الدعوة؛ يضع أمامه هدفا عاما وهدفا خاصا يقومان على المحبة. الهدف العام يتمثل في اقتدائه بالأنبياء والرسل وحمله رسالة الهداية إلى صراط الله المستقيم، وفي ذلك فضل عظيم انطلق من حبه لله تعالى وهداية الناس إليه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا »<sup>(٣)</sup>. وهدف الداعية الخاص يحدده الموقف الخاص لكل داعية مكانا وزمانا، وكما وكيفا، فرب الأسرة في بيته له هدف خاص في دعوته لأسرته، وإمام المسجد له هدف خاص في دعوته للمصلين معه، أما الهدف العام فيشمل كل مواقفه مع المدعوين، ويتمثل في حب الخير لنفسه بالأجر، ولهم بهدايتهم إلى طاعة الله ورسوله، والمضي بهم إلى صراط الله المستقيم اعتقادا وقولا وعملا، وفي ذلك كسب عظيم، جاء بيانه في مواضع عدة من كتاب الله منها، قال الله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)<sup>(٤)</sup>. وقد جاء فضل الدعوة إلى الله في السنة المطهرة في أدلة كثيرة منها: ذلك الموقف العظيم في غزوة خيبر، الذي جعلت المحبة فيه أمر عظيم الشأن، حاز سبقها في ذلك الموقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأصبحت دليلا وشاهدا في فضل الدعوة إلى الله، عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ « لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ». قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا - قَالَ - فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: « أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ». فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ - قَالَ - فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأَتَاهُ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) العريكة: الطبيعة يقال فلان كَيْنُ العريكة إذا كان سَلَسًا مطاوعًا منقادًا قليل الخلاف والتُّفُور ورجل كَيْنُ العريكة أي كَيْنُ الخُلُقِ سَلَسُهُ وهو منه، وشديد العريكة إذا كان شديد النفس أَيْبًا والعريكة النَّفْسُ يقال إنه لَصَعْبُ العريكة وسهل العريكة أي النفس . انظر :لسان العرب لابن منظور (٤٦٤/١٠).

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في صفة النبي ﷺ، حديث رقم : ٣٦٣٧ (٥/٥٩٨) ضعفه الألباني.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب العلم - باب من سن سنة حسنة أو دعا إلى هدى أو ضلالة، حديث رقم: ٦٩٨٠ (٨/٦٢).

(٤) سورة فصلت: ٣٣.

فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَانَتْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ؛ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ « ائْتِدُ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ ». (١). وحرر النعم هي الإبل، والحرر من الألوان أشرفها، والإبل كانت أفضل أموال العرب، قال أورد ابن حجر: ( حرر النعم بفتححتين أي الإبل وحررها أفضلها والنعم الإبل خاصة وإذا قيل الأنعام دخلت معها البقر والغنم وقيل بل النعم للثلاثة ) (٢) وهذا الأجر العظيم للداعية في هداية رجل واحد، كيف بالجماعات والأمم؟ وبل يمتد له الأجر بأجور من تبعه على الهدى، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلَيْهِمُ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَنُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ - قَالَ - ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرَقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » (٣). ومتى أدرك الداعية إلى الله هذه الحقيقة أحب الدعوة وأخلصها لله تعالى وأخلص للمدعوين في بذل صنوف الخير لهم ودلائتهم على أبوابه وسعى في دعوته على محبة وبصيرة.

## ٢) التقوى والعلم والعبادة:

إن منبع العلم التقوى، وترتكز العبادة على العلم، وهذه الصفات الثلاث يجب أن يتحلى بها الداعية إلى الله، قال الله تعالى: ( وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) (٤) قال ابن كثير في تفسيره: (وقوله: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} أي: خافوه وراقبوه، واتبعوا أمره واتركوا زجره {وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ} كقوله ( يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ آمَنُوا ) {وَاتَّقُوا اللَّهَ} إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ) (٥) (٦) وحيث التقوى بما التوفيق والمخرج من الضيق، وسعة الرزق، فهي أيضا، السبب في تحصيل العلم النافع وحلول الرفعة، قال ابن جزى في تفسيره لقوله تعالى: ( وَاتَّقُوا اللَّهَ )

(١) انظر: صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب غزوة خيبر، حديث رقم: ٤٢١٠ (١٣٤/٥). وانظر: صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٣٧٥ (١٢١/٧).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ١٩٦.

(٣) انظر: صحيح مسلم- كتاب العلم- باب من سن سنة حسنة أو دعا إلى هدى أو ضلالة، حديث رقم: ٦٩٧٥ (٦١/٨).

(٤) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٥) سورة الأنفال: ٢٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ١، ص: ٧٢٧.



وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ) إخبار على وجه الامتنان، وقيل: معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألهمه وهذا المعنى صحيح<sup>(١)</sup> فمن اتقى الله أحبه الله ومن أحبه الله جعل له القبول في السماء والأرض وقد فقه الصحابة - قدوة الدعاة - معنى التقوى ولزموا النجاة بها حال السلامة وحال الفتن، وكانوا بها أقوى لزما، عن عامر بن سعد، قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه فِي إِبِلِهِ. فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ. فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّكَّابِ. فَتَنَزَّلَ. فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»<sup>(٢)</sup>. قال النووي يرحمه الله في شرحه: (المُرَاد بِالْغَنَى غِنَى النَّفْسِ، هَذَا هُوَ الْغَنَى الْمَحْبُوبُ لِقَوْلِهِ ﷺ: "وَلَكِنَّ الْغَنَى غِنَى النَّفْسِ"<sup>(٣)</sup> وَأَشَارَ الْقَاضِي إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ الْغَنَى بِالْمَالِ. وَأَمَّا (الْخَفِيُّ) فَبِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي النَّسَخِ، وَالْمَعْرُوفُ فِي الرَّوَايَاتِ، وَذَكَرَ الْقَاضِي أَنَّ بَعْضَ رُوَاةِ مُسْلِمٍ رَوَاهُ بِالْمُهْمَلَةِ، فَمَعْنَاهُ بِالْمُعْجَمَةِ الْخَامِلُ الْمُنْقَطِعُ إِلَى الْعِبَادَةِ وَالِاشْتِغَالِ بِأُمُورِ نَفْسِهِ، وَمَعْنَاهُ بِالْمُهْمَلَةِ الْوُصُولُ لِلرَّحِمِ، اللَّطِيفُ بِهِمْ وَبَغَيْرِهِمْ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَالصَّحِيحُ بِالْمُعْجَمَةِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ حُجَّةٌ لِمَنْ يَقُولُ: الْاِعْتِزَالُ أَفْضَلُ مِنَ الْاِخْتِلَاطِ، وَفِي الْمَسْأَلَةِ خِلَافٌ سَبَقَ بَيَانَهُ مَرَّاتٍ. وَمَنْ قَالَ بِالتَّفْضِيلِ لِلْاِخْتِلَاطِ قَدْ يَتَأَوَّلُ هَذَا عَلَى الْاِعْتِزَالِ وَقْتَ الْفِتْنَةِ وَنَحْوَهَا<sup>(٤)</sup> والدعاة إلى الله حقا، هم من تكون دعوتهم قائمة على التقوى والبصيرة والعلم، وهم أصفياء أنقياء أخفياء عندما يرافقهم الإخلاص، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ، فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَبْكِي. فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شَرُّكَ. وَإِنَّ مَنْ عَادَى لِلَّهِ وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ، إِذَا غَابُوا، لَمْ يُفْتَقَدُوا. وَإِنْ حَضَرُوا، لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا. قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى. يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءٍ مُظْلَمَةٍ»<sup>(٥)</sup>. وهذا الحديث ضعفه جمع من المحققين وصححه جمع آخر كالحاكم في مستدركه، ويدل هذا الحديث على صفتي التقوى والإخلاص، اللتين امتاز بهما الرعيل الأول من الصحابة والتابعين وخلق من الصالحين، ودلالة التقوى والإخلاص والحث عليهما ثابت بنصوص الكتاب والسنة الكثيرة، فيجب على الدعاة خاصة الحرص على طهارة أنفسهم وإخلاصهم لله تعالى، فيلهموا الرشد والحكمة، ويعانوا على الدعوة بالتوفيق والسداد من الله، وفي شرح سنن ابن ماجة (يخرجون من كل غبراء مظلمة أي من عهدة

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوه عوض، القاهرة: أم القرى للطباعة والنشر، ج ١، ص: ١٧٣.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد - باب الرقائق - حديث رقم: ٧٦٢١ (٨/٢١٤).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب الغنى غنى النفس، حديث رقم: ٦٤٤٦ (٨/٩٥)، وانظر: صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب ليس الغنى عن كثرة العرض، حديث رقم: ٢٤٦٧ (٣/١٠٠).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١٨، ص: ١٠٠ - ١٠١.

(٥) انظر: سنن ابن ماجة - كتاب الفتن - باب من ترجى له السلامة من الفتن، حديث رقم: ٣٩٨٩ (٥/١٢٦). ضعفه الألباني. تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح ولا علة له.

كل مسألة مشكلة و بلية معضلة (١) والدعاة إلى الله أحبوا الله وأحبهم الله، لما تجاهلوا لذة الدنيا من أجل لذة الآخرة، قال الله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا) (٢) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (٣) كَلَّا نُمَدِّدُ هُنَّوَلَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٤) أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلََّا خِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٥) فإن ديدن الدعاة أنهم يعبدون الله في الخلوات و الجلوات بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، يفضلون الآخرة على الأولى، ويتزودون لدار البقاء بصالح العمل في دار الفناء ويضحون بالملذات في سبيل الله، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةِ بَيْنِهِ وَبَيْنَهُمْ فَمَنْعُوهُ فَتَخَلَّفَهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يَعْدُلُ بِهِ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتَلَوُّ آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ» (٦). وإمام الدعاة رحمه الله هو أتقى الناس لله وأعبدهم له وأعلمهم به، و أول ما بدأ التحث، حُبُّ إليه الخلاء والعبادة، وبعد البعثة قام مصليا حتى تفتطرت قدماه شكرا لله، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدِيَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبُّ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التَّعَبُّدُ — الليالي ذوات العدد، قبل أن يترع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء (٧) وثمار المحبة يجنيها الداعية إلى الله بمحبة الله له و حبه لطاعة ربه، ومحبة الناس له، وإن التقوى تضم العلم والعبادة وحسن الخلق والمعاملة، والدعوة إلى الحق والصبر عليه، يقول الشيخ السعدي في تفسيره: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} الذين أدوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي (٨) وقد أمر الله النبي ﷺ بالتزود والزيادة من العلم، وهو قدوة الدعاة وخاتم المرسلين: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (٩). وعلى الداعية إلى الله الحرص على الإخلاص في طلب العلم، وأن يحسن اكتسابه من طرقه الصحيحة، وهو من تقرير أوامر الشريعة، والدراسات الإنسانية، قال التركي: (والإنسان إذا أراد بعلمه وجه الله — سبحانه وتعالى — جعل الله لشخصيته هبة في نفوس الناس، وقد ذم الله — عز وجل — من طلب العلم للمباهاة والدنيا فقط. والإنسان يكتسب العلم من أربع طرق:

(١) شرح سنن ابن ماجه، السيوطي، تحقيق: عبدالغني فخر الحسن الدهلوي، كراتشي: قديمي كتب خانة، ص: ٢٨٧.

(٢) سورة الإسراء: ١٨ - ٢١.

(٣) انظر سنن النسائي - كتاب قيام الليل وتطوع النهار - باب فضل قيام الليل في السفر، حديث رقم: ١٣١٦ (٢/١٢١). ضعفه الألباني . تعليق شعيب الأرناؤوط على صحيح ابن حبان : حديث صحيح . وقال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَلَمْ يَخْرُجْ .

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب بدء الوحي- حديث رقم: ٣ (٧/١).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٣٢٨.

(٦) سورة طه: ١١٤.

الأول: من بديهية العقل ومصادمة الحس.

والثاني: الاستفادة من جهة النظر، فهو موجب للعلم.

والثالث: الاستفادة من أخبار الناس إما بالسماع منهم شخصياً أو بالقراءة في مؤلفاتهم.

والرابع: ما كان عن الوحي<sup>(١)</sup>

٣) حمل القرآن ( بتلاوته وحفظه وتدبره والعمل به ):

إن من أجل الصفات و أعظم السمات في الداعية إلى الله، حمله كتاب الله بين جنبات صدره بحفظه؛ كي يطمئن قلبه وتطيب نفسه، ويسعد بإتقانه مرتلاً، يتعبد الله بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وقبل هذا كله، فإن غاية المقصود دارسته وتدبره والعمل بما فيه، ويدخل في الخيرية التي بشر بها النبي ﷺ ويكون له أدعى في استحضر الدليل أثناء الدعوة ( عَنْ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ )<sup>(٢)</sup>، ولقد كان النبي ﷺ يتدارسه مع جبريل في رمضان في كل عام مرة ودارسه في سنة وفاته ﷺ مرتين ، وكان يعلمه الصحابة رضي الله عنهم، بل كان يحب أن يسمعه منهم عَنْ إِبْرَاهِيمَ<sup>(٣)</sup> قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ « أَقْرَأْ عَلَيَّ ». قَالَ أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ قَالَ « إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » قَالَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ النَّسَاءِ إِلَى قَوْلِهِ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (فَبَكَى)<sup>(٤)</sup>. وحق لقلوب الدعاة أن تخشع بالقرآن، والداعية الذي لا يخشع قلبه بالقرآن قلبه مريض، ومسلكه الدعوي غير صحيح، ويفتقر إلى الإخلاص، وهو في حاجة إلى دعوة خاصة نفسه قال الله تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)<sup>(٥)</sup> وأخذ القرآن يستحب أن يكون على مكث وتدبر، فهو خير من أخذه على عجل وسرد. أورد السيوطي في الإتقان: ( قال أبو عبد الرحمن السلمي<sup>(٦)</sup> حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن

(١) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها ، د. ناصر بن عبد الله بن ناصر التركي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عمادة البحث العلمي ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م ، ص : ١٥٤ .

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب فضائل القرآن- باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم: ٥٠٢٧ (٦/ ١٩١).

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي. أحد رجال السند في روية هذا الحديث.

(٤) انظر: صحيح مسلم- كتاب صلاة المسافرين وقصرها-باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، حديث رقم: ١٩٠٥ (٢/ ١٩٦).

(٥) سورة الحشر: ٢١ .

(٦) أبو عبد الرحمن السلمي، مقرئ الكوفة، الإمام العلم، عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن وجوده، ومهر فيه، وعرض على عثمان فيما بلغنا، وعلى علي، وابن مسعود. وحدث عن عمر، وعثمان، وطائفة. قال أبو عمرو الداني: أخذ القراءة عرضاً عن عثمان، وعلي، وزيد، وأبي، وابن مسعود. أخذ عنه القرآن: عاصم بن أبي النجود، ويحيى بن وثاب، وعطاء بن السائب وعبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ومحمد بن أبي أيوب، والشعبي، وإسماعيل بن أبي خالد، وعرض عليه الحسن والحسين رضي الله عنهما. قال أبو إسحاق: كان أبو عبد الرحمن السلمي يقرئ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة، وقال سعد بن عبيدة: أقرأ أبو عبد

كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة<sup>(١)</sup> وهكذا ينصح علماء السلف بالتوجيه المتكرر في أخذ القرآن وتعلمه، حيث هكذا نهج الصحابة رضي الله عنهم فقد جمعوا بين القراءة والعلم، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ( كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن )<sup>(٢)</sup> وقال رضي الله عنه: ( من أراد العلم فليقرأ القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين )<sup>(٣)</sup> وحب الداعية للقرآن يجعله على نور وهداية في دعوته، حيث هو أصل الدليل في الأحكام، ويعطيه قوة في البلاغ والبلاغة والبيان والتذكير، قال الله تعالى: ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذِكْرٌ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ )<sup>(٤)</sup> وإن كتاب الله نور يقرب بين قلوب المؤمنين ألفه ومحبة، عن مسروق قال: « ذُكِرَ عَبْدُ اللَّهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لَا أَزَالُ أَحِبُّهُ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ، وَسَلَامُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأَبِي بَنٍ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ. قَالَ: لَا أَدْرِي، بَدَأَ بِأَيِّ أَوْ بِمُعَاذٍ »<sup>(٥)</sup>. وهنا نعلم أن القرآن خلق الداعية، والسنة صفته، والعلم الشرعي نهجه، فيجب على الداعية أن يتزود بالفقه في الدين، ولا يجعل الدعوة إلى دين الله حصر على القصص أو محاور كلامية تناقش مواقف الحياة، أو قصائد شعرية، أو روايات نثرية، بل إن التأصيل العلمي للداعية من أول المطالب في بناء شخصيته، ولا يمكن تحقيق ذلك بمعزل عن القرآن والسنة، وفقه الدليل. وحين تكون الغلبة للقصص والشعر على شخصية الداعية، فإن ذلك يضعف الرسوخ في الدين لدى المدعوين، ويضفي لمعة وسنا على شخصية الداعية سمعة وشهرة، ويبعد الناس عن جوهر دعوته، ومطلب الهداية، الذي هو التمسك بأصول الدين، وبذلك تطغى الوسيلة على الغاية، ويعلو الظاهر على الباطن، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ( أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ

الرحمن في خلافة عثمان، وإلى أن توفي في زمن الحجاج. وقيل: مات سنة ثلاث وسبعين، وقيل: مات قبل سنة ثمانين، وقيل: مات في أوائل ولاية الحجاج على العراق. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٢٦٧) ..

(١) الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، بيروت: عالم الكتب، ج ٢، ص: ١٧٦.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٨٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط ١، ١٣٧٦ هـ، ج ١، ص: ٨.

(٤) سورة ق: ٤٥.

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة ؓ، حديث رقم: ٣٧٥٨

(٥/٢٧). وانظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة ؓ - باب مناقب عبد الله بن مسعود ؓ وأمه، حديث رقم: ٦٤٩٢ (٧/١٤٩).

إِلَّا قَلِيلًا<sup>(١)</sup> ومنها نعلم أن الرجوع إلى العلماء واجب، والاستنباط العلمي هو السبيل الصحيح في التعلم، وهذا لا يعني إغفال القصص، فإن القصص محمودة في أخذ العبرة والعظة، وهي تلك القصص المؤصلة على الحقيقة لا الخيال والكذب، والتي تأتي وفق الدليل كشاهد له، وأما الشعر فهو مذموم إلا ما استثنى الله، من الشعر الذي يلازمه الإيمان والعمل الصالح، والذكر والصبر والانتصار للحق، أما عمومهم فقد ورد فيه الذم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا<sup>(٢)</sup>. ولقد كان النبي ﷺ يحث حسان بن ثابت على نصرته الدين بالشعر، ويسمع منه ومن غيره الشعر في الحق، ( عن حسان أنه أنشد النبي ﷺ شعرا:

شهدت بإذن الله أن محمدا \*\*\* رسول الذي فوق السماوات من عل  
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما \*\*\* له عمل من ربه متقبل  
وأن أخوا الأحقاف إذ قام فيهم \*\*\* يقول بذات الله فيهم ويعدل

فقال النبي ﷺ: "أنا أشهد" وقال حسان أيضا في قصيدته الدالية في مدح رسول الله ﷺ شعرا:

ألم تر أن الله أرسل عبده \*\* برهانه والله أعلى وأعجم  
وضم إليه اسم النبي إلى اسمه \*\* إذا قال في الخمس المؤذن أشهد  
وشق له من اسمه ليجله \*\* فذو العرش محمود وهذا محمد  
أغر عليه للنبوّة خاتم \*\* من الله ميمون يلوح ويشهد (٣)

ثانيا: الصفات الأخلاقية:

(١) حب التقدم في الحق ممن هو أهله:

الصفات الشخصية تختلف من شخص لآخر، وتكوين الشخصية يمر بمؤثرات في مراحل عمرية مختلفة، وصفات وراثية وأنظمة اجتماعية، يتعرض لها الشخص فتغلب عليه صفات دون أخرى، ويتميز بأمور عن غيره ويتخلف في أخرى، لذا يلزم من الدعاة أن يتعرف كل منهم على ذاته وصفاته ويضعها في صالح الدعوة، وكذلك أهل العلم في تربيتهم للدعاة يجب أن يتفروا في شخصيات طلاب العلم وصفاتهم، وما يتم تكليفهم به من مهمات حسب الصفات، وليس محبة المرء للشيء دلالة على إتقانه ولكن لكل أمر أهله، ولكل امرئ صفاته ومؤهلاته تتجلى في شخصه، ومتى أدركها الداعية في نفسه أو أدركها المسؤول

(١) سورة النساء: ٨٢ - ٨٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب- باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن، حديث رقم: ٦١٥٤ (٣٦/٨).

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعتلة والجهمية . محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مصر: مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤٠٨هـ، ج: ١، ص: ١٣.

يجب يوجه بها لأنها من العوامل الهامة في نجاح الداعية والدعوة، وهو منهج قرآني كريم، قال الله تعالى: (وَأَوْدَدَ وَسَلِّمَنَ إِذْ تَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٧﴾ فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنٌ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) <sup>(١)</sup> وهو أيضا منهج نبوي كريم في تعليمه للصحابة، فظهر على يديه ﷺ الفقهاء مثل أبو بكر الصديق وسعد بن معاذ وعثمان بن عفان، وظهر المفسرون مثل عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس، وظهر القادة مثل علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص، وظهر القراء مثل عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم أجمعين، والمقصود هنا أن نعرف أن لكل داعية من الدعاة إلى الله صفات خاصة، يجب أن تقدم لصالح الدعوة و استثمارها في مصلحة الدين، وألا تقع الشخصية بين حب الذات والغرور، وبين احتقار الذات وقتل الصفات، فيجب أن يتقدم كل داعية بما يجيده من مهام لخدمة دين الله عز وجل، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حَاطِبٍ رضي الله عنه <sup>(٢)</sup>: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِلَصٍّ فَقَالَ: «أَقْتُلُوهُ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا سَرَقَ، قَالَ: «أَقْتُلُوهُ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا سَرَقَ، قَالَ: «أَقْتُلُوهُ»، قَالَ: ثُمَّ سَرَقَ فَقُطِعَتْ رِجْلُهُ، ثُمَّ سَرَقَ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُطِعَتْ قَوَائِمُهُ كُلُّهَا، ثُمَّ سَرَقَ أَيْضًا الْخَامِسَةَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَ بِهَذَا حِينَ قَالَ: «أَقْتُلُوهُ» ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِيَقْتُلُوهُ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَكَانَ يُحِبُّ الْإِمَارَةَ، فَقَالَ: أَمَرُونِي عَلَيْكُمْ فَأَمَرُوهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِذَا ضَرَبَ ضَرْبَهُ حَتَّى قَتَلُوهُ. <sup>(٣)</sup> قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: ( والحديث يدل بظاهره على أن السارق في المرة الخامسة يقتل، وقد جاء القتل في المرة الخامسة مرفوعا عن جابر في أبي داود والنسائي في الرواية، والفقهاء على خلافه، فقليل لعله وجد منه ارتداد أوجب قتله، وهذا الاحتمال أوفق بما في حديث جابر أنهم جروه وألقوه في البئر، إذ المؤمن وإن ارتكب كبيرة فإنه يقبر ويصلى عليه، لا سيما بعد إقامة الحد وتطهيره، وأما الإهانة بهذا الوجه فلا تليق بحال المسلم <sup>(٤)</sup> وعندما تميز عبد الله بن الزبير بشجاعته فقد آلت إليه الإمارة أيام الفتنة <sup>(٥)</sup>، وكان من شهدائها

(١) - سورة الأنبياء: ٧٧ - ٧٨.

(٢) الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جهم القرشي الجمحي، صحابي صغير أخو محمد بن حاطب، ولهما صحبة، وأمهما فاطمة بنت الجحجل، وكانا ممن ولدا بأرض الحبشة، مات بعد سنة ست وستين، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/٥٦٨) و تقريب التهذيب لابن حجر (١/١٤٥).

(٣) انظر: سنن النسائي-كتاب قطع السارق- باب قطع الرجل من السارق بعد اليد، حديث رقم: ٤٩٩٢ (٤٦٤/٨). قال الألباني: منكر. وقال الحاكم في المستدرک: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٤) حاشية السندي على النسائي، نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٦ هـ، ج ٨، ص: ٩٠.

(٥) التي وقعت بين ابن الزبير والأمويين في سنة ٦٤ هـ: قال ابن كثير: ( ثم دخلت سنة أربع وستين ففيها في أول الحزم منها سار مسلم بن عقبة إلى مكة قاصدا قتال ابن الزبير ومن التف عليه من الأعراب، على مخالفة يزيد بن معاوية) انظر: البداية و النهاية لابن كثير (٨/٢٤٦) .

رضي الله عنه. فإن المهمات الصعبة ورؤوس الأمر، قد لا يصلح لها إلا أصحاب صفات مميزة، وذات خصوصية، مثل الإمارة فكان ﷺ يحذر منها العامة لتبعاتها الآخروية، ويحذر البعض لعدم الأهلية لها، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أَحَبُّ لَكَ مَا أَحَبُّ لِنَفْسِي لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ »<sup>(١)</sup>. وأصبحت سجية الصحابة الكرماء إدراكهم التوازن بين الرغبات الشخصية ومصلحة الأمة الشرعية، بادر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمبايعة أبي بكر الصديق بعد وفاة النبي ﷺ، وانحسر الرأي المختلف وبقي الأصل من الوفاق والوحدة. وعهد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة من بعده لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما تأهل به من صفات القيادة وحمل المسؤولية، واستمرت به الوحدة، وأوصى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة من بعده في أحد ستة<sup>(٢)</sup> من المؤهلين بحملها، ومن رأى رضوان الرسول ﷺ عنهم، وانشقت عصا الطاعة من الخوارج في أواخر عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانتهت الفتنة باستشهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولائم الأمر من بعدهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لحصر الخلاف ورأب الصدع والقضاء على الفتن حتى استشهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذه حكمة الصحابة رضي الله عنهم في الإمارة، فمن المنقول عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ( قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، وإن لم أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف. فما رد هذه الكلمات أحد. وقال: أجعلها شورى في نفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض )<sup>(٣)</sup> وأصبحوا أسوة لمن بعدهم، ويأتى بعضهم ببعض، يقدر الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأمر؛ ويفقه خطر النزاع في الدنيا والآخرة، ولعلمه عظم المسؤولية في الإمارة، فيقدم عليها مصلحة الأمة، ويتركها تنازلاً من أجل وحدة الأمة، وحقن دماء المسلمين، وقد تحققت فيه نبوءة النبي ﷺ وقد أصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وانطفأت به الفتنة وحقنت دماء المسلمين بين أهل الشام وأهل العراق، واجتمعت الأمة بعد فرقة، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَصَعَدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: ( ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ )<sup>(٤)</sup>. وهكذا على الدعاة إلى الله أن يقدموا أنفسهم في الحق، بحسب ما يلائم صفتهم ويقدموا مصلحة الأمة على مصالحهم الخاصة، وآرائهم الشخصية. ونحن نعيش عصر التخصص فلا نترك مجال الدعوة الدقيق لمن تخصص في علوم أخرى طبيعية أو مادية أو غيرها مما هي ليست من العلوم الشرعية، فيدعو إلى الله على غير بصيرة بأحكام الشريعة، فينحرف الناس عن أصول الدين. وهذا لا يمنع المشاركة التخصصية في الربط بين الشرع والعلم المادي كإظهار الإعجاز العلمي في القرآن

(١) انظر: صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم: ٤٨٢٤ (٧/٦).

(٢) وهم من العشرة المبشرين بالجنة. (عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبي وقاص و طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوام) .

(٣) العواصم من القواصم ، القاضي أبو بكر العربي ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، بيروت : دار الكتب العلمية ط ٤ ، ١٩٨٥ م ، ص: ٢٠١ .

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب المناقب-باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: ٣٦٢٩ (٤/٢٠٤).

والسنة وغيره. ولكن القصد ألا يمسك بزمام الدعوة من لم يكن لديه تأصيل علمي بأصول الشريعة، خوفاً عليه من الزلل والإثم، وخوفاً على الدعوة من الضعف وفقد الثقل الذي يجب أن تكون عليه، وخوفاً على المدعويين من اكتساب العلم الضعيف والمنهج المنحرف والبعد عن الدليل فيضلوا. فإن أصل العلم الشرعي القرآن الكريم، وتدبر آياته، ومعرفة السنة المبينة والمفسرة لأحكامه ومعجزاته، والموضحة لمعاني آياته، قال الله عز وجل: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا تَجِدُ بِغَايَتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِمِثْلِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٦٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا تَجِدُ بِغَايَتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٦٩﴾).

## (٢) المحبة:

الإسلام دين الحب، وجاءت رسالته لإنقاذ البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور وإشاعة الحب والخير بينهم، وعلى ذلك قامت شرائعه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَذْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا. غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّبْتُهُ فِيهِ. <sup>(١)</sup> وهذه المحبة يجب للداعية أن يدرك أبعادها النفسية، ويعرف حدودها الشرعية وأن يقدم الخير والهداية للناس بجميع ألوانهم ولغاتهم وأصولهم وأديانهم، وهو معلن الحب الصريح لهم، بما يقدمه من الخير، ولا يقدم دعوته وهو معلن العداء لهم ولأديانهم، بل مفرق بين شخصياتهم وبين ما هم عليه من المعصية أو الضلال أو الكفر، وعليه أن يتأول لهم العذر بالجهل أو النشأة في الكفر، قال تعالى في حق بلقيس حين إسلامها مع سليمان عليه السلام: (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ) <sup>(٢)</sup> وهذا الإعلان يحيي الشعور بالحب بين الداعية والمدعويين، ويولد الألفة والتقارب، ويمكن للداعية البلاغ عن قرب وألفة، ويمكن للمدعويين فتح الآذان والاستماع إلى الحق، وإصغاء القلوب إليه، وهنا رابط قوي في الاستجابة، فاحبة صفة الداعية وبها تميز الأنبياء في دعوتهم حيث أحبههم الله والناس، ولا يعني ذلك ألا يتعرضوا لأذى المعوقين للدعوة، قال تعالى في حق موسى عليه السلام: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) <sup>(٣)</sup> ولكم أودى عليه السلام في سبيل الدعوة إلى الله، واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي ألقى من الله على موسى عليه السلام، فقال بعضهم: أي حببتك إلى عبادي، وقال آخرون: أي حببتك إلى خلقي، وقال آخرون: أي حسنت خلقتك، وقال آخرون: أي حسنا وملاحة، وقال آخرون: أحبه كل من رآه، قال الإمام

(١) سورة العنكبوت: ٤٧ - ٤٩ .

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الر والصلة والآداب - باب في فضل الحب في الله، حديث رقم: ٦٧١٤ (١٢/٨).

(٣) سورة النمل: ٤٤ .

(٤) سورة طه: ٣٩ .



الطبري في تفسيره: (والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله ألقى محبته على موسى، كما قال جل ثناؤه) (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) فحببه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنته وغذته وربته، و إلى فرعون، حتى كف عنه عاديته وشره، وقد قيل: إنما قيل: وألقيت عليك محبة مني، لأنه حبه إلى كل من رآه. ومعنى (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) حبيبك إليهم، يقول الرجل لآخر إذا أحبه: ألقى عليك رحمتي: أي محبتي<sup>(١)</sup>؛ فإن المحبة من أهم صفات الداعية، فإعلان الحب للناس عامة وللمدعوين خاصة واجب إنساني، وواجب شرعي حيث دعا الإسلام إلى كرامة الإنسان، ومجازاة الإحسان بالإحسان، عن أنس رضي الله عنه، قال: «رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مُقبلين — قال: حسبت أنه قال من عرس — فقام النبي ﷺ مُمثلاً فقال: اللهم أنتم من أحب الناس إلي. قالها ثلاث مرار»<sup>(٢)</sup>. أورد ابن بطال: (وقال أبو الحسن بن القابسي<sup>(٣)</sup>: قوله: ممتناً، يعني متفضلاً عليهم بذلك؛ لأن الأنصار أحب الناس إليه، فقال أنس: هو عليه السلام ممتن علينا بمحبته وتخصيصه<sup>(٤)</sup>) وعندما يحب المدعو الدعاة ويجب الداعية المدعوين، فإنهم يجتمعون على الإيمان بالله، حيث شرف الدعوة وفضلها، وصالح أهلها؛ فإنهم يجتمعون في نعيم الآخرة بهذه المحبة الصادقة، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: (ثَلَاثٌ أَحْلَفُ عَلَيْهِنَّ، لَا يَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ، وَأَسْهُمُ الْإِسْلَامُ ثَلَاثَةٌ: الصَّلَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالزَّكَاةُ، وَلَا يَتَوَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا فَيُوَلِّيه غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُمُ وَالرَّابِعَةُ لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهَا رَجَوْتُ أَنْ لَا آتَمَ : لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فقال عمر بن عبد العزيز: إِذَا سَمِعْتُمْ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ مِثْلِ عُرْوَةَ يَرْوِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَاحْفَظُوهُ<sup>(٥)</sup>.

### ٣) الصدق:

قال الله تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)<sup>(٦)</sup> لاشك أن صفة الصدق من أعظم

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٨، ص: ٣٠٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب قول النبي ﷺ للأنصار أنتم أحب الناس إلي، حديث رقم: ٣٧٨٥ (٣٢/٥).

(٣) القابسي الحافظ المحدث الفقيه الإمام علامة المغرب، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري الفروي، أخذ بأفريقية عن ابن مسرور الدباغ ودارس بن إسماعيل، وبمصر عن حمزة بن محمد الحافظ وأبي زيد المروزي وهذه الطبقة، ولد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وكان حافظاً للحديث والعلل، بصيراً بالرجال، عارفاً بالأصلين، رأساً في الفقه وكان ضريباً، وكتبه في نهاية الصحة، كان يضبطها له ثقات أصحابه، ذكره حاتم الطرابلسي فقال: كان زاهداً ورعاً لم أر بالقيروان أحداً إلا معترفاً بفضلته. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٨٦/٣) توفي الشيخ الفقيه أبو الحسن القابسي بالقيروان سنة ثلاث وأربعمائة، انظر: الوفيات لأبي العباس الخطيب (٢٢٧/١).

(٤) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٧، ص: ٢٩١.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٥٢٧١ (١٦١/٤٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث حسن لغيره.

(٦) سورة التوبة: ١١٩.

صفات المسلم، وهي من أوجب الصفات في حق الدعاة إلى الله، وأوثق الخصال التي تربط الدعاة بالمدعوين والدعوة، ويأتي عظيم أمرها كون الدعاة يتكلمون في الأحكام، ويقولون عن الله ورسوله ﷺ وينقلون الشريعة للناس. وإن كان الكذب في حق المسلم خصلة من خصال النفاق، فإنه في حق الدعاة نفاق وظلم، قال الله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۚ) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٧﴾، فإذا صدق الداعية أحبه الناس، وإذا عرفوا عليه كذبا فقد هدم ما يدعو إليه من الحق في قلوب الناس، قبل أن يهدم شخصه في نظرهم، فعلى الداعية أن يتحرى الصدق، فإن الناس يتحرون في شخصه المحبة بما يتحرى الصدق في حديثه. عن عبد الله<sup>(٢)</sup> قال: سمعت حجاج بن الشاعر<sup>(٣)</sup> يسأل أبي فقال: أيما أحب إليك عمرو الناقد<sup>(٤)</sup> أو المعيطي<sup>(٥)</sup>؟ فقال: كان عمرو الناقد يتحرى الصدق<sup>(٦)</sup>. ومن صدق الباطن مع الله تعالى بإخلاص النية؛ صدق في الظاهر قولاً وعملاً، والصدق صفة محبوبة ومحبة لصاحبها، وهي من أوجب صفات الداعية. وفي الحديث: الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة. وبعد غزوة حنين جاء وفد هوازن مسلمين ومطالبين بأموالهم وما سبي منهم حال الغزوة فخيرهم النبي ﷺ بين المال أو السبي لأنه خرج من يده إلى يد الصحابة رضي الله عنهم فبين لهم الحكم وأخبرهم بأن الصدق أحب الحديث إلى الله: (عن ابن شهاب ذكر غزوة أن مروان و المسور بن مخرمة أخبراه «أن النبي ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن فسألوهم أن يرُدَّ إليهم أموالهم وسبيهم، فقال: إن معي من ترون، وأحبُّ الحديث إليَّ أصدقُّه، فاختاروا إحدى الطائفتين إما المال وإما السبي»<sup>(٧)</sup>. فاختاروا السبي.

(١) سورة الزمر: ٣٣.

(٢) عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني.

(٣) حجاج بن الشاعر هو الحافظ الأوحى المأمون أبو محمد حجاج بن يوسف بن حجاج الثقفي البغدادي، حدث عن أبي داود الطيالسي ويعقوب بن إبراهيم وأبي النصر وحجاج الأعور وطبقته. روى عنه أبو داود ومسلم وبقي بن مخلد وأبو يعلى وعبد الرحمن بن أبي حاتم وإسحاق بن علي بن حاتم: ثقة حافظ، وقال أبو داود: هو خير من مائة مثل الرمادي. قال ابن قانع: مات في رجب سنة تسع وخمسين ومائتين. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٠٠/٢).

(٤) عمرو الناقد ابن محمد بن بكير ويكنى أبا عثمان، وهو ثقة، صاحب حديث، ثبت، وقد كتب عنه أهل بغداد كتباً كثيرة، وكان من الحفاظ المحدثين، وكان فقيهاً، وثقياً ببغداد، وذلك يوم الخميس لأربع ليال خلون من ذي الحجة سنة اثنتين ومائتين. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٥٨/٧).

(٥) محمد بن عمر المعيطي، قال ابن حبان في الثقات: كان من الحفاظ، كتب عن بقية وأهل العراق، روى عنه أحمد بن حبان بن ملاعب والبغداديون، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين، وقال الخطيب: حدث عن شريك وأبي الأحوص وغيرهما وعنه جعفر بن محمد بن شاكر وإسحاق بن الحسن الحربي والكديمي وغيرهم، قال ابن سعد: كان ثقة صاحب حديث، وقال ابن قانع: كان ثقة. انظر لسان الميزان لابن حجر (٤١٤/٧).

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الكوفيين - حديث أبي عبد الرحمن عن مشايخه من حديث جابر بن سمرة عن النبي ﷺ، حديث رقم: ٢٠٩٧٥ (٤٩٤/٣٤).

(٧) انظر: صحيح البخاري - كتاب العتق - باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية، حديث رقم: ٢٥٤٠ (١٢٧/٣).

(٥) أويس بن عامر بن جرير بن مالك القرني، مجاب الدعوة، بر بوالدته، قال أسير بن جابر: وكسوته بردا، من الأصفياء الأخفياء الأبرياء، وفي الأثر: أشهل ذو صهوبة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رام ببصره إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله، يتلو القرآن ييكي على نفسه، ذو طمرين لا يؤبه له، متزر يزار صوف ورداء صوف، مجهول في أهل الأرض معروف في السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، حضر إلى المدينة في خلافة عمر، عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية منهم أويس القرني. انظر: صفوة الصفوة لابن الجوزي (٤٣/٣) .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةُ. قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.<sup>(١)</sup> وفي هذا دروس عظيم، منها: أن أمير المؤمنين ينتظر رجلاً من أقصى جنوب ملكه ليستغفر له، لم يشغله منصب الخلافة عن زكاة نفسه ونجاتها، ولم تصرفه زهرة الإمارة عن فرد من غبراء الناس - فيما يبدو للناس - وأن يبحث عنه ويعمل على الوصاية به، إنه تواضع عمر الفاروق، الخليفة العادل التقى القوي، لقد أثر فيه حب الخير لنفسه ولرعيته، وحبه لوصية رسول الله ﷺ، حبا له، وحبا في اتباعه. ومن متن النص يقول أويس الرجل البار - عظمة في التواضع - وهو الذي من فضل دعوته قد تنغير أحوال وأحوال، يقول رافضا الشهرة: ( أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ ) إنه التواضع والإخلاص الذي تكون به الرفعة، والذي يجب أن يكون عليه الداعية والمدعو. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ »<sup>(٢)</sup>. فقد أثر أويس أن يكون في أخلاط الناس، وهذا من شكر النعم، ذكر النووي في شرحه لصحيح مسلم عند هذا الحديث قوله: (( أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ ) هُوَ بَفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَيَا سَكَانَ الْمُوَحَّدَةِ وَبِالْمَدِّ أَيْ ضِعَافَهُمْ وَصَعَالِيكِهِمْ وَأَخْلَاطَهُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، وَهَذَا مِنْ إِثَارِ الْخُمُولِ وَكُتْمِ حَالِهِ<sup>(٣)</sup>. والداعية إلى الله يجب أن يتسم بصفات المروءة ومن أجلها التواضع، وهذه الصفة عدة مقاييس، ويختلف الناس فيها باختلاف أحوالهم في كل زمان، ومن أهم هذه المقاييس هو ما يعد من المؤثرات على نفس الإنسان كبرا، كالمكانة الاجتماعية من الحسب والشرف والجاه والسلطان وكثرة المال والولد والدور والقصور، وما أعطي من الجمال والعلم، أو الاستعظام بطرا، أو الاستكبار فقرا، ويبقى الأصل الذي يقوم عليه الأمر أن التواضع منزلة من منازل الأخلاق، تبلغ من الدعاة مبلغ مطالب الشرع منهم، بتهذيب النفس وكفها عن الكبر وسوء الخلق ورفعها بتقدير الآخرين ودفع الاحتقار عنهم. أورد صاحب الإحياء: ( وقال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا، حتى تعلم أنه ليس لك بدنيك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عن من فوقك في الدنيا، حتى تعلم أنه ليس له بدنيك عليك فضل، وقال قتادة: من أعطي مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه، كان عليه وبالا يوم القيامة، وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتمها عليك<sup>(٤)</sup> ) والداعية المتواضع لاشك أنه أكبر حبا لدعوته وتعظيما لنفسه، وأن تواضعه من أكبر المؤثرات في حب الناس إليه والاستجابة للحق على يديه، وحب الداعية لهذه الصفة كما فعل أويس القرني شرف للداعية، وإن كانت حال أويس تختلف عن غيره، فإن لنا المثل الأعلى والأسوة الحسنة - نبي الرحمة - في ذلك مثلا، يركب الحمار والبغل

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أويس القرني، حديث رقم: ٦٦٥٦ (١٨٩/٧).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم: ٦٧٥٧ (٢١/٨).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٦، ص: ٩٥ - ٩٦.

(٤) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، بيروت: دار المعرفة، ج ٣، ص: ٣٤٢.

والناقة، ويردف أصحابه ويمازح الصبيان ويشرب مما يشرب منه الناس، ويرضى باليسير وينام على الحصير، ويعلم الجاهل ويحب دعوة الداعي، ويشارك الناس حياتهم فيطبخ ويسم ويدبح ذبيحته ويحلب شاته، ويمشي مع صاحب الحاجة ويقف معه، ويرقع ثوبه ويخصف نعله، ويقوم على خدمة أهله وبيته ويرحم الخادم، ويأكل معه، وينهى عن القيام له ﷺ. والدعاة اليوم يظهرون في دعوتهم مظهر التواضع وهي من أبرز إيجابيات الدعوة، ولكن الناس بحاجة إلى الخلطة من الدعاة لأن الحواجز المرسومة أصبحت أسوارا بين الدعاة والناس، وأيضا يتضح القصور عندما ننظر بعين القياس في قلة أهل الدعوة وكثرة الناس، ولكي تستقيم أمور الناس يجب أن يكون الداعية بينهم يدل على الخير وينشر الحق في تواضع مع الجميع.

##### ٥) سلامة الصدر وسداد اللسان:

إن سلامة الصدر وسداد اللسان من الصفات المؤكدة في كتاب الله تعالى، وهي في حق المسلم واجبة، فيجب على المسلم أن ينقي قلبه من الغل ويعيش بقلب مطمئن محب، وصدر سليم حنون، وعقل حكيم، ولسان سديد، وإن أثر ذلك سوف ينتقل إلى جميع الجوارح ومن أعظمها أثرا اللسان فلا ينطق إلا بالحق والصدق والقول السديد، قال الله تعالى: (يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ)<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَبْلُغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ بِمَا لَقِيتُ النَّبِيَّ فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى رَجُلَيْنِ جَالِسَيْنِ وَهُمَا يَقُولَانِ: وَاللَّهِ مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِقَسَمَتِهِ النَّبِيَّ قَسَمَهَا وَجْهَ اللَّهِ، وَلَا الدَّارَ الْآخِرَةَ، فَتَشَبَّتُ حِينَ سَمِعْتُهُمَا فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَحْمَرَّ وَجْهَهُ، وَقَالَ: دَعْنِي عَنْكَ، فَقَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»<sup>(٢)</sup> إن نقل الكلام من أعظم المؤثرات في القلب والعلاقات، على وجه الألفة والتماسك، أو على وجه العداوة والفرقة، فإن كان الناقل متبينا ويتبع النصيحة فالأمر محمود، وإلا دخل في باب النميمة، أورد ابن حجر في الفتح: (وفي هذا الحديث جواز إخبار الإمام وأهل الفضل بما يقال فيهم مما لا يليق بهم؛ ليحذروا القائل. وفيه بيان ما يباح من الغيبة والنميمة لأن صورتهما موجودة في صنيع ابن مسعود هذا ولم ينكره النبي ﷺ، وذلك أن قصد ابن مسعود كان نصيح النبي ﷺ وإعلامه بمن يطعن فيه، ممن يظهر الإسلام ويبطن النفاق؛ ليحذر منه، وهذا جائز كما يجوز التجسس على الكفار ليؤمن من كيدهم، وقد ارتكب الرجل المذكور بما قال إثما عظيما، فلم يكن له حرمة، وفيه أن أهل الفضل قد يغضبهم ما يقال فيهم مما ليس فيهم، ومع ذلك فيتلقون ذلك بالصبر)<sup>(٣)</sup> وما قرره علماء الإسلام أن

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب فضل أزواج النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٨٩٦ (٥/٧١٠). تحقيق الألباني: ضعيف الإسناد، لكن الشطر الثاني منه في القسمة صحيح. وعند مسلم في كتاب الزكاة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَسَمًا فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّهَا لَقَسَمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ - قَالَ - فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَارَرْتُهُ فَقَضِبَ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا وَأَحْمَرَّ وَجْهَهُ حَتَّى تَمَنَّتْ أَلَى لَمْ أَذْكُرْهُ لَهُ - قَالَ - ثُمَّ قَالَ «قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١٠، ص: ٥١٢.

النميمة والغيبة من كبائر الذنوب، لما تحدثه من شر في العلاقات وفساد، وقد ورد فيها الوعيد بالعذاب وكان السلف يحاسبون أنفسهم على الكلمة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا- قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً - فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا الْبَحْرُ لَمَزَجَتْهُ، قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: مَا أَحَبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»<sup>(١)</sup>. وندرك من حديث عائشة رضي الله عنها: ( ما أحب أني حاكيت إنسانا ) إثم المحاكاة والتحذير منها؛ لمنافاتها سلامة الصدر وخلق المسلم ، قال المناوي في فيض القدير: ((ما أحب أني حاكيت إنساناً) أي فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله منقصاً له، يقال: حكاه وحاكاه قال الطيبي<sup>(٢)</sup>: وأكثر ما تستعمل المحاكاة في القبيح (وأن لي كذا وكذا) أي لو أعطيت كذا وكذا من الدنيا أي شيئاً كثيراً منها بسبب ذلك فهي جملة حالية واردة على التعميم والمبالغة، قال النووي: من الغيبة المحرمة المحاكاة بأن يمشي متعارجاً أو مطاطياً رأسه أو غير ذلك من الهيئات<sup>(٣)</sup> وهكذا على الداعية أن يعلم ويعلم أن من أهم أسباب نشر الحجة بين الناس سلامة الصدر، والبعد عن الغيبة والنميمة. وأن الدعوة تعيش اليوم نوعاً من القواصم في مسيرتها، وهو نقل الكلام بين الدعاة وإبراز أوجه الاختلاف لنشر الخلاف، وتشيت الهدف، وهذا من الباطل عقلاً وشرعاً، أما إن كان القصد تصحيح المنهج وتعديل الطريق، يجب ترسيم النقل وفق ضوابط الشرع ومقاصده، ومن أهمها سلامة النية، وضبط المنقول، وعدل الناقل، وتقديم قبول الأعذار وعدم الجزم بالتهمة، وتربية طلاب العلم على ذلك؛ لأنها من أصول خلق المسلم. ويجب أن يُحذَر؛ لأن الأعداء يحكيون المؤامرات ويعقدون المؤتمرات؛ لإضعاف المسلمين، وضرب بعضهم ببعض، والوسط الدعوي ليس بمعزل عن ذلك.

## ٦) الإيثار:

لقد وصف الله تعالى الأنصار بالإيثار - وهم أسوة في الدعوة إلى الله ومحبتهم من الإيمان - قال الله تعالى: ( وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ )<sup>(٤)</sup> استقبلوا المهاجرين بالحبّة وعبروا عنها بالإيثار، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ فُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فَأَخَى بَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: إِنَّ لِي مَالًا فَهُوَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَانِ وَلِي امْرَأَتَانِ فَأَنْظُرْ أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ فَأَنَا أَطْلُقُهَا فَإِذَا حَلَّتْ فَتَزَوَّجَهَا قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ذُلُونِي أَيُّ عَلَى السُّوقِ

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في الغيبة، رقم الحديث: ٤٨٧٧ (٤/٢٠٤). صححه الألباني .

(٢) أحمد بن أحمد بن الطيبي الشافعي النحوي الزاهد: فاضل دمشقي. من كتبه (المواعظ السننية في الخطب المنبرية ) ونظم (مناسك الحج) وله (المفيد في التجويد ) و (الإيضاح التام لبيان ما يقع في السنة العوام ) منظومة، ومنظومتان في القراءات، الأولى (بلوغ الامالي ) والثانية (مذهب حمزة في تحقيق الهمزة ). وكان مدرسا واعظا يعيش من كتابة أوقاف بني منجك . وتولى إمامة الجامع الأموي مدة طويلة، ودرس بالمدرسة العادلية والجامع المنجكي. انظر: الأعلام للزركلي (٩١/١).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ج ٥، ص: ٥٢٤.

(٤) سورة الحشر: ٩.

فَلَمْ يَرْجِعْ حَتَّى رَجَعَ بِسَمْنٍ وَأَقِطٍ قَدْ أَفْضَلَهُ قَالَ: وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ أَثَرَ صُفْرَةٍ فَقَالَ: «مَهْمٌ»<sup>(١)</sup>  
فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «أَوْلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»<sup>(٢)</sup>. هي النظرة الإيمانية للحياة، اقتبسوا نورها  
من نبي الهدى ﷺ الذي علمهم بأن المال مال الله، هو المعطي وهو المانع وهو الرزاق ذو القوة المتين، ولا  
يصرف إلا في طاعة الله وممرضاته، تبنى به الحياة ليعبد الله ولا يعبد من دون الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ( تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقُطَيْفَةِ وَالْخَمِصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ  
يُعْطَ لَمْ يَرْضَ )<sup>(٣)</sup> لقد أصبح للأنصار مقام عظيم في صدر الإسلام، ومنه أن لهم الحب الكبير في قلب كل  
مسلم؛ لما أمر الشارع بحقهم، وحبهم، ورد في أضواء البيان وصف شامل في حقهم عند تفسير سورة  
الحشر، قال المؤلف يرحمه الله في حقهم: ( وَصَفٌ شَامِلٌ لِلْأَنْصَارِ، (تَبَوَّءُوا الدَّارَ) أَي: الْمَدِينَةَ، (وَالْإِيمَانَ  
مِنْ قَبْلِهِمْ) أَي: بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ مِنْ قَبْلِ مَجِيءِ الْمُهَاجِرِينَ، بَلْ وَمِنْ قَبْلِ إِيْمَانِ بَعْضِ الْمُهَاجِرِينَ،  
(يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) وَيَسْتَقْبِلُونَهُ بِصُدُورٍ رَحْبَةٍ، (وَيُؤْتِرُونَ) غَيْرَهُمْ (عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ  
خَصَاصَةٌ)، لَأَنَّهُمْ هَاجَرُوا إِلَيْهِمْ. وَظَاهِرُ النُّصُوصِ تَدُلُّ بِمَفْهُومِهَا أَنَّ غَيْرَهُمْ لَمْ يُشَارِكُهُمْ فِي هَذِهِ  
الْصِّفَاتِ، وَلَكِنْ فِي الْآيَةِ الْأُولَى مَا يَدُلُّ لِمُشَارَكَةِ الْمُهَاجِرِينَ الْأَنْصَارَ فِي هَذَا الْوَصْفِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ الْإِيْثَارُ  
عَلَى النَّفْسِ، لَأَنَّ حَقِيقَةَ الْإِيْثَارِ عَلَى النَّفْسِ هُوَ بَذْلُ الْمَالِ لِلْغَيْرِ عِنْدَ حَاجَتِهِ مُقَدِّمًا غَيْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهَذَا  
الْمَعْنَى بِالذَّاتِ سَبَقَ أَنْ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَنْفُسِهِمُ الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ  
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)<sup>(٤)</sup>، فَكَانَتْ لَهُمْ دِيَارٌ، وَكَانَتْ عِنْدَهُمْ أَمْوَالٌ وَأُخْرِجُوا مِنْهَا كُلُّهَا، فَلَنْ  
كَانَ الْأَنْصَارُ وَأَسَؤُا إِخْوَانَهُمُ الْمُهَاجِرِينَ بِبَعْضِ أَمْوَالِهِمْ، وَقَاسَمُوهُمْ مُمْتَلِكَاتِهِمْ، فَإِنَّ الْمُهَاجِرِينَ لَمْ يَنْزِلُوا  
عَنْ بَعْضِ أَمْوَالِهِمْ فَحَسَبُ، بَلْ تَرَكُوهَا كُلُّهَا: أَمْوَالَهُمْ، وَدِيَارَهُمْ، وَأَوْلَادَهُمْ، وَأَهْلَهُمْ، فَصَارُوا فُقَرَاءَ بَعْدَ  
إِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَمَنْ يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ مَالِهِ وَدِيَارِهِ، وَيَتْرُكُ أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ لَا يَكُونُ أَقَلَّ تَضَحِيَّةٍ  
مِمَّنْ أَثَرَ غَيْرِهِ بِبَعْضِ مَالِهِ، وَهُوَ مُسْتَقَرٌّ فِي أَهْلِهِ وَدِيَارِهِ، فَكَانَ اللَّهُ عَوَضَهُمْ بِهَذَا الْفَيْءِ عَمَّا فَاتَ عَنْهُمْ)<sup>(٥)</sup>  
وحقيقة المال زينة ومتعة وتكاثر وتفاخر، ومتى انحرف الإنسان في حبه أصبح في هلكة، فقد هلك قارون  
بفتنة ماله ولم ينفع أبا لهب كثرة ماله، ووجه النبي ﷺ إلى حسن التصرف بالمال على وجه المنفعة الدنيوية  
والآخروية في أحاديث عديدة منها الإنفاق في سبيل الله، عن أبي ذرٍّ ؓ قال: « كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا  
أَبْصَرَ — يَعْنِي أَحَدًا — قَالَ: مَا أَحَبُّ أَنَّهُ يُحَوَّلَ لِي ذَهَبًا يَمْكُثُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا دِينَارًا

(١) (مَهْمٌ) كلمة إيمانية معناها ما أمرك؟ وما هذا الذي أرى بك؟ ونحو هذا من الكلام. انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٦٤/١٢)

(٢) انظر: سنن النسائي-كتاب النكاح- باب الهدية لمن عرس، حديث رقم: ٥٥٣٥ (٢٣٩/٥). أصله في الصحيحين وصححه الألباني .

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الرقاق- باب ما يتقى من فتنة المال، حديث رقم: ٦٤٣٥ (٩٢/٨).

(٤) سورة الحشر: ٨ .

(٥) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، بيروت : دار الفكر للطباعة و

النشر ، ١٤١٥ هـ ، ج ٨ ، ص: ٤٣ .

أرصدُهُ لَدَيْنِ. ثم قال: إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمُ الْأَقْلَوْنَ، إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا — وأشار أبو شهاب<sup>(١)</sup> بين يديه وعن يمينه وعن شماله — وقليلٌ ما هُم. وقال: مكانك، وتقدّم غير بعيدٍ فسمعتُ صوتاً، فأردتُ أن آتيه. ثم ذكرتُ قوله: مكانك حتى آتيك. فلما جاء قلتُ: يا رسول الله، الذي سمعت — أو قال: الصوت الذي سمعتُ — قال: وهل سمعت؟ قلتُ: نعم، قال: أتاني جبريلُ عليه السلامُ فقال: مَنْ ماتَ من أُمَّتِكَ لا يُشركُ بالله شيئاً دخلَ الجنةَ، قلتُ: وَمَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا؟ قال: نعم»<sup>(٢)</sup>. وواجب الدعاة أن يتصفوا بصفة الإيثار في مجال الحياة العامة، وفي مجال الدعوة خاصة، وهذه الصفة تكاد تختفي من مرأى واقع الناس، فإن الحياة المادية قد سيطرت على الأنظمة الاجتماعية، وضعفت العلاقة الاجتماعية بسبب ضعف الوازع الديني، وكثرة المال، والانحياز الشخصي، ولكن يبقى الإيثار أصل من أصول الأخلاق التي أمر بها الإسلام، وسبيل إقامتها يتم على مستوى التضحية والتقدم بالمال أو النفس أو على سبيل العلم والمكانة والنصرة، عن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاري يقولان، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ »<sup>(٣)</sup>. فإن النصر والإيثار من صفات المؤمنين، بعضهم مع بعض، وتظهر بين أفراد الأسرة بعضهم مع بعض، وتظهر بين الدعاة أنفسهم ومع المدعوين بشكل أخص، فعندما يجد المدعو أن الداعية قد قدمه على نفسه في أمر يحبه، أو دافع عنه بما يحفظ كرامته؛ فقد اكتسب الداعية بهذا الفعل قلب المدعو، مما يزيد الألفة ويزيل الكلفة، وهنا يحقق الداعية مطالب الدعوة بإرشاد المدعو وهدايته إلى الصراط المستقيم، وحقيقة الإيثار أنها وسيلة دعوية معنوية ومادية، ركيزتها المحبة، قال شيخ الإسلام ابن القيم في كتابه طريق المهجرتين وباب السعادتين: ( فإن إيثار المحبوب على غيره موجب المحبة ومقتضاها، فإذا استقرت المحبة في القلب استدعت من المحبة إيثار محبوبة على غيره، وهذا الإيثار علامة ثبوتها وصحتها، فإذا أثر غير المحبوب عليه لم يكن محبا له، وإن زعم أنه محب فإنما هو محب لنفسه ولحظه ممن يحبه، فإذا رأى حظا آخر هو أحب إليه من حظه الذي يريده من محبوبه، أثر ذلك الحظ المحبوب إليه، فهذا موضع يغلط فيه الناس كثيرا، إذ أكثرهم إنما هو يحب لحظه ومراده، فإذا علم أنه عند غيره أحب ذلك الغير حب الوسائل، لا حبا له لذاته، ويظهر هذا عند حالتين: إحداهما أنه يرى حظا له آخر عند عبد ربه بن نافع أبو شهاب الحنات الأصغر، صاحب الطعام المدائني أخرج البخاري في الزكاة والأشربة والكفارات والتوحيد وغير موضع، عن عاصم بن يوسف، وأحمد بن يونس عنه، عن يونس بن عبيد، وابن عون وعاصم الأحول، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وعوف. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: هو صالح الحديث، فسألته عنه، فقال: ما بحديثه بأس، فقلت له: إن يحيى بن سعيد يقول ليس هو الحافظ فلم يرض بذلك، ولم يعرفه. قال أبو بكر سمعت بن معين يقول: هو ثقة قال أبو بكر: رأيت في كتاب علي سمعت يحيى بن سعيد يقول: لم يكن أبو شهاب الحنات بالحافظ ولم يرض يحيى أمره. انظر: التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح لأبي أيوب الباجي (١٠٢٢/٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الرقاق- باب قول النبي ﷺ، ما أحب أن لي مثل أحد ذهابا، حديث رقم: ٢٣٨٨ (١١٦/٣).

(٣) انظر: سنن أبي داود- كتاب الأدب- باب من رد عن مسلم غيبة، حديث رقم: ٤٨٨٦ (٤٢٢/٤). وانظر: مسند الإمام أحمد أول مسند المدنيين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٦٣٦٨ (٢٨٨/٢٦). وضعه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.



الوسائل، لا حبا له لذاته، ويظهر هذا عند حالتين: إحداهما أنه يرى حظا له آخر عند غيره؛ فيؤثر ذلك الحظ ويترك محبوبه. الثانية: أنه إذا نال ذلك الحظ من محبوبه ففترت محبته وسكن قلبه وترحل قاطن المحبة من قلبه، كما قيل من ودك لأمر ولي عند انقضائه، فهذه محبة مشوبة بالعلل<sup>(١)</sup>

## ٧) الصبر على البلاء والرضا بالقضاء والقدر:

إن صفة الصبر ارتبطت في الكتاب والسنة بالدعوة إلى الله، ارتباطا قويا، فقد واجه الأنبياء والرسل وأتباعهم من الأذى صنوفا عديدة، ولا شك أنهم أشد الناس بلاء كما جاء في السنة وكان من دعائهم، كما قال الله تعالى عنهم: (قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)<sup>(٢)</sup> وقد بين الله تعالى في سورة العصر أن التواصي بالصبر سبب للفلاح، والدعاة إلى الله أحق به؛ لأنهم اتصفوا بما قبله من الأوامر، آمنوا وعملوا الصالحات ويدعون إلى الحق، ومن دعا إلى الحق عليه بالصبر، والصبر على ثلاثة أقسام، قال أبو السعود في تفسيره: (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} أي عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية، وعلى الطاعات التي يشق عليها أداؤها، أو على ما يبلى الله عز وجل به عباده، وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجِهِ تحت التواصي بالحق؛ لإبراز كمال الاعتناء به)<sup>(٣)</sup> وإذا علم الداعية فضل الله على الصابرين، وأنهم من أهل محبته وجعل لهم من الأجر والفضل ما ليس لغيرهم، فإنه يستمسك بهذه الصفة ويدعو إليها، قال الله تعالى: (إِنَّمَا يُؤَيِّتُ الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)<sup>(٤)</sup> وقال الله تعالى: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)<sup>(٥)</sup> عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: «عَظُمَ الْجَزَاءُ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ. وَإِنَّ اللَّهَ، إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ. فَمَنْ رَضِيَ، فَلَهُ الرِّضَا. وَمَنْ سَخِطَ، فَلَهُ السُّخْطُ»<sup>(٦)</sup>. ومن دلالة هذا الحديث، الحث على الصبر والمصابرة والرضا بالقضاء نظير عظيم الجزاء، ولا يمكن أن نذكر عالما أو داعية إلى الله ولم يلحق به من الأذى في سبيل علمه ودعوته، ولكن الله يكون له ظهيرا ويجعل له سلطانا نصيرا ما توافق التوكل عندهم مع الصبر، والأخذ بالأسباب، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام: دار ابن القيم، ط ٢، ١٤١٤ هـ، ص: ٤٤٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٠.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج ٩، ص: ١٩٧.

(٤) سورة الزمر: ١٠.

(٥) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٦) انظر: سنن الترمذي - كتاب الزهد - باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم: ٢٣٩٦ (٤/٦٠١). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب الصبر على البلاء، حديث رقم: ٤٠٣١ (٥/١٥٩). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار، حديث رقم: ٢٣٦٢٣ (٣٥/٣٩). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده جيد.

عُرِفَا تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَتْهَرُ خَلِيدَيْنِ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلَيْنِ ﴿١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ <sup>(١)</sup> ومن أعظم درجات الثواب في البلاء محبة الله للمبتلى الصابر، وهي درجة من وفق إليها وفق لخير كثير، وفاز فوزاً عظيماً. وامتدح الله نبيه أيوب عليه السلام بالصبر والأوبة، قال الله تعالى: ( إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) <sup>(٢)</sup> ومع ألم البلاء وصعوبة الصبر ومرارته يجد العبد المؤمن عوضاً، حينما يستشعر لذة اخبة من الله، وفي ذلك درس للدعاة أن يصبروا على مواقف الدعوة وأنواع البلاء، أورد العلامة ابن رجب الحنبلي في كتابه جاع العلوم والحكم: ( وسئل بعض التابعين عن حاله في مرضه، فقال: أَحَبُّهُ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَيَّ. وسئل السري <sup>(٣)</sup>: هل يجد الحبُّ ألم البلاء؟ فقال: لا. ) <sup>(٤)</sup> وقد ابتلي كل نبي من الأنبياء، وصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم النصر من الله، قال الله تعالى في يوسف عليه السلام: ( قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ) <sup>(٥)</sup> قال الإمام الطبري في تفسيره: (وهذا الخبر من الله يدلُّ على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف في المراودة عن نفسه، وتوعدته بالسِّجْن والحبس إن لم يفعل ما دعت به إليه، فاختار السجن على ما دعت به إليه من ذلك ؛ لأنها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك، كان محالاً أن يقول: (ربِّ السجن أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه)، وهو لا يدعى إلى شيء، ولا يخوف بحبس ) <sup>(٦)</sup> وابتلي عليه السلام بالسجن، الذي استحبه على معصية الله بالفاحشة، ومنه نكتسب درساً في الصبر والمصابرة وأن الابتلاء لزيم كل دعوة وداعية، ولقد ابتلي الدعاة في هذا العصر بمصائب وأنواع البلايا؛ لما ضعف المسلمون وظهر الأعداء عليهم في أغلب المجالات، وتصدى العلماء والدعاة لهم حفاظاً على عقيدة المسلم وأخلاقه من الانحراف و الذوبان، وأحكام الشريعة من الامتهان أو الإقصاء أو الانتهاك؛ فظهرت الدعوة الإسلامية كتخصص بارز بين التخصصات الشرعية الأخرى واحتلت المقام في المقدمة؛ مما سلط الأعداء على الدعاة إلى الله بالتهم والاضطهاد والتهجير والسجن والقتل، وتسلطوا على الدعوة بالمرء والكيد ووصفها بالدعوة إلى الإرهاب والعنصرية وصدام الحرية، ولم يخل بلد إلا ووضع القيود على الدعاة والدعوة بالأنظمة الإقصائية

(١) سورة العنكبوت: ٥٨ - ٥٩.

(٢) سورة ص: ٤٤.

(٣) سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن: من كبار المتصوفة. بغدادى المولد والوفاة. وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته. وهو خال الجنيد، وأستاذه، قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علة الموت. من كلامه: (من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز) كانت وفاته في: ٢٥٣هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٨٣/٣).

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادى ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ص: ١٩٤.

(٥) سورة يوسف: ٣٣.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ١٦، ص: ٨٧.

الجبرية، واستمرت الدعوة في هذه البلاد المباركة وضبطت بضوابط الشريعة لأنها قامت عليها منهجا وحكما، ووضعت الحلول المناسبة لأحوال المخالفين ، وإن كان الحق في هذه المسألة ليس محل الطرح له هنا، وخلاصته أن المناهج الدعوية خرجت عن المنهج الرباني الصحيح إلى مناهج شتى، تختلف عن المنهج الصحيح في كثير من الأمور، وكانت في حاجة ماسة إلى تصفية وتربية وترشيد، وقيادة موحدة، وشورى واعية مخلصنة تؤلف بين الدعاة والولاة، وتصلح ذات البين، والأسباب في ذلك متشابكة يصعب حل عقدها، وهنا من الأهمية بمكان أن يعلم الداعية إلى الله أن من أجل صفاته الصبر، ويجب عليه توطئ نفسه على البلاء في سبيل الدعوة، وأن هذا من أسباب محبة الله لعبده الموصلة إلى رضوانه والجنة. وأن يدرس كل مسألة شرعية على ضوء الكتاب والسنة، ولا يكن سببا في فتنة لنفسه أو لمجتمعه أو للأمة.

#### ٨) الاستعفاف:

إن الاستعفاف مرتبط بالمال والعرض وأمور الحياة، وصفة في كرام الناس، تتطلب أن يرضى المرء بما يملك من مال، ويتصبر على قلته وفاقته، فلا يسأل الناس ويعف نفسه بالبحث عن الحلال في الكسب من عمل يده، أو في قضاء الشهوة بالزواج، ويستغني بما يكفه عن الحرام، أورد الجوهري في الصحاح: (عَفَّ عَنِ الْحَرَامِ يَعْفُ عَفًّا وَعَفَّةً وَعَفَافًا وَعَفَافَةً، أَي كَفَّ؛ فَهُوَ عَفٌّ وَعَفِيفٌ، وَالْمَرْأَةُ عَفَّةٌ وَعَفِيفَةٌ. وَأَعَفَّهُ اللَّهُ. وَاسْتَعَفَّ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، أَي عَفَّ. وَتَعَفَّفَ، أَي تَكَلَّفَ الْعَفَّةَ. وَالْعَفَّةُ وَالْعَفَافَةُ بِالضَّمِّ فِيهِمَا: بَقِيَّةُ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ)<sup>(١)</sup>، والداعية إلى الله يجب أن يتصف بشيم المروءة التي يظهر من خلالها بصفات الرفعة لأنه يحمل عزة الإسلام ورفعته ومن هذه الصفات صفة العفاف وهكذا وصف الله تعالى المهاجرين - وهم أسوة في الدعوة إلى الله - قال الله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحَسِبُهُمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَرَأَتْهُ اللَّهُ بِهٖ عِلْمٍ)<sup>(٢)</sup> ومن دلالة الآية ثناء الله على أهل الفقر المتعففين عن السؤال، ووصية منه سبحانه العليم بالإنفاق عليهم، ومن أهل العلم من خصها بفقراء المهاجرين، أورد الإمام الطبري في تفسيره: (وقيل: إن هؤلاء الفقراء الذين ذكرهم الله في هذه الآية، هم فقراء المهاجرين عامة دون غيرهم من الفقراء)<sup>(٣)</sup> وقد بين الله تعالى سبب فقرهم وهو الإحصار في سبيل الله، وفسر بعدة أقوال، قال البغوي في تفسيره: (الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} فِيهِ أَقَاوِيلُ؛ قَالَ قَتَادَةُ - وَهُوَ أَوْلَاهَا - حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ {لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ} لَا يَتَفَرَّغُونَ لِلتَّجَارَةِ وَطَلَبِ الْمَعَاشِ وَهُمْ أَهْلُ الصِّفَةِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ، وَقِيلَ: حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ حَبَسَهُمُ الْفَقْرُ وَالْعَدَمُ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَالَ

(١) الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٤، ص: ١٢٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٥، ص: ٥٩٠.

سعيد بن جبير: قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زمني<sup>(١)</sup>، أحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد<sup>(٢)</sup> وفي الأصل فإن المسلم يعمل ويكد ويأكل من عمل يده، وهو الصنيع المحبوب إلى الله تعالى، عن المقدام<sup>(٣)</sup> بن معدي كرب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما أكل أحد منكم طعاماً أحب إلى الله عز وجل من عمل يديه»<sup>(٤)</sup>. ومن أجل حكمه الحث على العمل باليد، وظهور العفة على المسألة، والمشاركة بين الناس في الأعمال فتستقيم أمورهم في الحياة، فقد ربي النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم على العفة وهم قدوة، عَنْ هَالَلٍ<sup>(٥)</sup> بْنِ حِصْنٍ قَالَ: نَزَلَتْ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه فَصَمْنِي وَإِيَّاهُ الْمَجْلِسُ، قَالَ: فَحَدَّثَ أَنَّهُ أَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا مِنَ الْجُوعِ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ أَوْ أُمُّهُ: أَنْتَ النَّبِيُّ ﷺ فَاسْأَلْهُ فَاسْأَلْهُ، فَقَدْ أَتَاهُ فَلَانَ فَسَأَلَهُ، فَأَعْطَاهُ، وَأَتَاهُ فَلَانَ فَسَأَلَهُ، فَأَعْطَاهُ، فَقَالَ: قُلْتُ حَتَّى أَلْتَمَسَ شَيْئًا، قَالَ: فَالْتَمَسْتُ فَاتَيْتُهُ - قَالَ حَجَّاجٌ: فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا فَاتَيْتُهُ - وَهُوَ يَخْطُبُ، فَادْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ اسْتَعْفَ يُعْفَهُ اللَّهُ، وَمَنْ اسْتَغْنَى يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ سَأَلْنَا إِمَّا أَنْ نَبْذُلَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ نُؤَاسِيَهُ - أَبُو حَمْزَةَ<sup>(٦)</sup> الشَّائِدُ - وَمَنْ يَسْتَعْفُ عَنَّا أَوْ يَسْتَعْنِي، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّنْ يَسْأَلُنَا قَالَ: فَرَجَعْتُ فَمَا سَأَلْتُهُ شَيْئًا. فَمَا زَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا حَتَّى مَا أَعْلَمُ فِي الْأَنْصَارِ أَهْلَ بَيْتٍ أَكْثَرَ أَمْوَالًا مِنَّا<sup>(٧)</sup>. ومع اختلاف ظروف العصر الاقتصادية عما سبق، فقد أصبحت الدعوة وظيفة و مصدرًا للدخل المالي؛ لاعتماد تقسيمها ضمن وظائف الدولة الرسمية، ومن السداد تنسيق ولاية الأمر لشؤون العلم والدعوة، وتخصيص الوظائف في هذا الشأن؛ فيكون الداعية في عمل شريف، ومهمة رفيعة، ووظيفة عالية القدر، فتعطى لمن تأهل لها بالعلم والعمل؛ ويجب أن تعطى قدرها الكامل من الاهتمام من أهل المسؤولية

(١) وَأَزْمَنَ الشَّيْءُ طَالَ عَلَيْهِ الزَّمَانُ، وَالْأَسْمُ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَنُ وَالزُّمْنَةُ. انظر لسان العرب لابن منظور (١٩٩/١٣). فأما الزمانة التي تصيب الإنسان فتقعده، فالأصل فيها الضاد، وهي الضمانة، انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٣/٣).

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ١، ص: ٣٣٧.

(٣) المقدام بن معدي كرب بن عمرو بن يزيد بن معد يكرب بن عبد الله بن وهب بن ربيعة بن الحارث بن معاوية بن ثور بن غفر الكندي. أبو كريمة. وقيل: أبو صالح وقيل: أبو يحيى وهو أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من كندة. يعد في أهل الشام وبالشام مات سنة سبع وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة روى عنه جماعة من التابعين بالشام. مذكور فيمن نزل حص. عاش إلى خلافة عبد الملك ويقال: إلى خلافة ابنه الوليد. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٧٠/٢).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧١٨١ (٤١٨/٢٨). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح.

(٥) هلال بن حصن أخو بني قيس بن ثعلبة، بصري، روى عن أبي سعيد الخدري، وروى عنه أبو حمزة وقتادة، ذكره البخاري وذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة أربع وتسعين، روى عنه أهل البصرة. انظر: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة لابن حجر العسقلاني (٣٣٥/٢).

(٦) أحد رجال السند في هذه الرواية، وقيل: هو أبو حمزة نصر بن عمران الضبيعي. ومن ذكر أنه أبو حمزة فهو تصحيف. كذا ضبطه الدارقطني في المؤلف (٦٠٠/١).

(٧) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم: ١١٤٠١ (٤٨٨/١٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: حديث صحيح.

والتخطيط لبلاد المسلمين، ومن تحمل أمانة الأداء لها، وواقع الدعوة والمسلمين اليوم، يستلزم توسيع نطاقها على جميع مستويات المجتمع؛ بما يسد الحاجة إليها.

ويجدر بالدعاة إلى الله أن يصونوا أنفسهم عن الذلة والهبوط إلى مستوى الطلب، أو المكسب المادي من وراء الدعوة إلى الله، فيجعلوها سبيلا لمصدر الرزق فقط، فشأن الدعوة إلى الله عظيم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَعَنَّى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي رِيحَهَا)<sup>(١)</sup>. ومن أصول الدعوة أن وظيفتها يجب أن يقوم بها ممن تأهل لها علما وخلقا، ويحرم على الجاهل أن يدعو إلا بعد علم، والواجب المقرر شرعا التواصي بالحق والدعوة إليه على بصيرة وعلم، قال الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف: (إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْأَبْنَىٰ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ)<sup>(٢)</sup>. ومن يتلمس حاجاته باسم الدعوة إلى الله؛ ويدعو بدون دليل وبرهان، فقد خالف سمات المروءة وزاد الناس جهلا وضلالة، ولو استعف وطلب الرزق وترك أمر الدعوة لأهله لكان خيرا له وخيرا للناس.

### ثالثا: الصفات الشخصية في الهيئة الظاهرة:

#### (١) الجمال:

تبرز شخصية الداعية من منطقها وهيئته، أي من جميل القول وجمال الشكل، والهيئة أول ما يتلقاه المدعو سواء كان في ملبس الداعية أو بدنه، ووجهه أول محياه وعلاماته وقسماته تدل عليه، وإلى ما يدعو إليه، فمن صفات الداعية أن يهتم بلبسه وهيئته، حيث الاهتمام باللباس وحسن الهيئة طبيعة بشرية تنافي الكبر، وتسبب الخيلاء لمن في قلبه مرض من بطر الحق والاستعلاء والفخر، وهو ما دلت عليه السنة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبَرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>. فمن توجيهات الحديث أيضًا، الحذر من الكبر والعجب بالنفس، وأن الداعية معرض لذلك كغيره من الناس، وقد يكون أشد منهم لما يلاقيه من الشهرة، خاصة ونحن نعيش اليوم تطورا كبيرا في وسائل الإعلام والاتصال، مما لا يخفى على أحد، ومن توجيهات الحديث أيضا أن من محاب الله الجمال، وإن الأشياء في جمالها تبرز على بعضها البعض حسب عين الناظر، ولا يتوقف الوصف للجمال إن لم توقفه النفس، وله لذة نفسية عميقة، ذكر النبي ﷺ نبي الله يوسف عليه السلام وأنه أوتي شطر الجمال في حديث الإسراء والمعراج، قال ﷺ: (ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب العلم - باب في طلب العلم لغير الله تعالى، حديث رقم: ٣٦٦٦ (٣/٣٦١). وانظر: سنن ابن ماجه - كتاب المقدمة - باب الانتفاع بالعلم والعمل به، حديث رقم: ٢٥٢ (١/٢٨٥). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨٤٥٧ (١٤/١٦٩). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده حسن.

(٢) سورة الأعراف: ٣٣.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيانها، حديث رقم: ٢٧٥ (١/٦٥).

مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ<sup>(١)</sup>. وهو الذي قلن نساء المدينة<sup>(٢)</sup> في حقه ﷺ حين شغفت<sup>(٣)</sup> به امرأت عزيز مصر ما قلن، من نفي البشرية عنه من جماله: قال الله تعالى: ( فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَبًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ<sup>(٤)</sup> ) ولقد أمر الله تعالى نبيه بما فيه جمال الداعية إلى الله فأمره بالصبر الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل، فمن جمال الحياة الصفيح والعفو، ومن جمال شخصية الداعية أن يتميز بالصفح والعفو، ويكون مستجيباً لأمر الله في قوله تعالى: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>(٥)</sup> ) وذكر صاحب تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن في تفسير سورة الحجر عند قوله تعالى: ( فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ )<sup>(٦)</sup>: (أَمَرَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - نَبِيَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي هَذِهِ آيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ يَصْفَحَ عَمَّنْ أَسَاءَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ؛ أَي: بِالْحِلْمِ وَالْإِغْضَاءِ<sup>(٧)</sup> ). وَقَالَ عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ: الصَّفْحُ الْجَمِيلُ: الرِّضَا بِغَيْرِ عِتَابٍ. وَأَمْرُهُ ﷺ يَشْمَلُ حِكْمَةَ الْأَمَّةِ ؛ لِأَنَّهُ قُدُّوْهُمْ وَالْمُشَرِّعُ لَهُمْ<sup>(٨)</sup> ) فَإِنَّ الْمُسْلِمَ جَمِيلٌ فِي بَاطِنِهِ بِمَا يَحْمِلُ مِنْ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَجَمِيلٌ فِي ظَاهِرِهِ بِنِظَافَةِ بَدَنِهِ وَنِصَارَةِ مَلْبَسِهِ وَحَسَنِ أَخْلَاقِهِ وَلِزُومِ السَّنَةِ فِي ذَلِكَ، كَمَا هُوَ جَمِيلٌ بِالْمَوَازَنَةِ وَلِزُومِ الْحِكْمَةِ بِمَا يَحْقُقُ مَصَالِحَ الشَّرْعِ وَمَقَاصِدَ الدِّينِ فِي عَمُومِهِ، وَعَدَمَ مَخَالَفَةِ النَّاسِ بِالشَّدُوذِ فِي الْمَظْهَرِ أَوْ التَّنَطُّعِ أَوْ فِرَاضِ مَا أَلْزَمَ بِهِ نَفْسَهُ عَلَى الْآخَرِينَ، وَلَكِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةَ وَالرَّفْقَ مَا كَانَ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَالنَّصِيحَةَ بِهِ جَمَالٌ، وَمَا وَرَدَ فِي لِبَاسِ الْمُؤْمِنِ: عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةً سُنْدُسٍ، وَكَانَ يَنْهَى، عَنِ الْحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا فَقَالَ: ( وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا<sup>(٩)</sup> ). وَعَنْ أَبِي

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم: ٤٢٩ (٩٩/١).

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة، وهي مصر (٣٨٤/٤).

(٣) (شغف) الشين والغين والفاء كلمة واحدة، وهي الشَّغَاف، وهو غلاف القلب. قال الله تعالى: { قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا } [يوسف: ٣٠]، أي أَوْصَلَ الْحُبَّ إِلَى شَغَافِ قَلْبِهَا. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٩٥/٣).

(٤) سورة يوسف: ٢١.

(٥) سورة النور: ٢٢.

(٦) سورة الحجر: ٨٥.

(٧) (غضا) الغين والضاد والحرف المعتل كلمتان: فالأولى: الإغضاء: إدناء الجفون. وهذا مشتق من اللَّيْلَةِ الْغَاضِيَةِ، وهي الشَّدِيدَةُ الظُّلْمَةُ. والكلمة الأخرى: الْغَضَا، وهو شجرٌ معروف. يقال: أَرْضٌ غَضِيَاءٌ: كثيرة الغضا. ويقال: إِبِلٌ غَضِيَّةٌ: اشتكت عن أكل الغضا. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٢٨/٤).

(٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥ هـ، ج ٢، ص: ٣١٣.

(٩) انظر: صحيح البخاري - كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها - باب قبول الهدية من المشركين، حديث رقم: ٢٦١٥ (١٦٣/٣).

هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ، أَوْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عليه السلام: ( بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مَرَجَلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ )<sup>(١)</sup>. ومن المعلوم أيضا، أن الجمال كلمة ذات معانٍ عظيمة، وذات أبعاد عميقة، ويختلف الناس في تحديد أبعادها وحصر معانيها، فلكل ينظر إليها من زاوية محددة في شخصيته، وما تمثله في حياته أو ما يظهر إليه من خلال فكره، وعليه فإن الجمال ما عظمه الشخص لحسن يراه أو وصف فاق به غيره في النواحي المعنوية أو المادية، ويتفق الناس في مظاهر جمالية ويختلفون في أخرى، ومما يتفق عليه أهل العلم أن الداعية إلى الله يجب أن يظهر بالمظهر الحسن الذي أمر به الشرع، وهو أن يتقلل من الدنيا تقللاً لا يخرجه، فخير الأمور أوسطها، يسكن كما يسكن أواسط الناس، ويلبس كما يلبس أواسط الناس، مع العلم أن هناك حيثيات خاطئة، منها: أن بعض الناس يرى أن الداعية يجب عليه أن يلبس لباس الفقراء والزهاد، وهذه الحيشة ليست بصحيحة، فإن الله - عز وجل - قد أحل الطيبات، ورسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى التجميل وإصلاح الحال والرحال بقوله: (( إِنْكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلَحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلَحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنْكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ ))<sup>(٢)</sup> وعندما يكون الداعية متجملاً، متطيباً، ذا سكن فسيح ومركب طيب مريح، فإن هذا لا يعارض أمر الله - عز وجل - ولا سنة رسول صلى الله عليه وسلم، بل عليه أن يكون كذلك، ولكل بما يناسبها، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يعتني بذلك، ففي صلاة الاستسقاء يظهر الخشوع والذلة والخشية في الحال واللباس، ولكنه في الأعياد لبس بُردة حمراء جميلة، خرج بها أمام الناس، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِنْ كَانَتْ جُمَّتُهُ لَتَضْرِبُ قَرِيبًا مِنْ مَنْكِبَيْهِ )<sup>(٣)</sup>. أورد ابن بطال في شرح صحيح البخاري: ( قال الطبري: وقد اختلف السلف في ذلك، فمنهم من رخص في لبس ألوان الثياب المصبغة بالحمرة مشبعة كانت أو غير مشبعة، ومنهم من كره المشبعة، ورخص فيما لم يكن مشبعاً )<sup>(٤)</sup> وفي الروض المربع شرح زاد المستقنع: ( ويكره المعصفر )<sup>(٥)</sup> في غير إحرام ويكره (المزعفر للرجال) لأنه عليه الصلاة والسلام هي الرجال عن التزعفر - متفق عليه - ويكره الأحمر الخالص، والمشي بنعل واحدة، وكون ثيابه فوق نصف ساقه، و تحت كعبه بلا حاجة، وللمرأة زيادة إلى ذراع، ويكره لبس

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب اللباس- باب من جر ثوبه من الخيلاء، حديث رقم: ٥٧٨٩ (١٤١/٧).

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب اللباس - باب ما جاء في إسبال الإزار، حديث رقم: ٤٠٩٠ (١٠١/٤). وانظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل - مسند الشاميين رضي الله عنه، حديث رقم: ٦٤٨٧ (٢٦/١١). ضعفه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده محتمل للتحسين.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب اللباس- باب الجعد، حديث رقم: ٥٩٠١ (١٦١/٧).

(٤) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٩، ص: ١٢٠.

(٥) (عصفر) العُصْفَرُ نبات سُلَافَتُهُ الْجُرْيَالُ وهي معربة، العُصْفَرُ هذا الذي يصبغ به ومنه رِبْيٌ ومنه بَرِيٌّ وكلاهما نبتٌ بأرض العرب وقد عَصَفَرَتِ الثوبَ فَتَعَصَفَرَ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٨١/٤).

الثوب الذي يصف البشرة للرجل والمرأة، وثوب الشهرة وهو ما يشتهر به عند الناس، ويشار إليه بالأصابع<sup>(١)</sup> ووجه بعض أهل العلم الكراهة في الصبغ بالعصفر والزعفران هنا على كراهة التزييه وليس على كراهة التحريم لحديثي ابن عمر وابن عمرو رضي الله عنهما، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ يُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ بِالْخُلُقِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّكَ تُصَفِّرُ لِحْيَتَكَ بِالْخُلُقِ ! قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَفِّرُ بِهَا لِحْيَتَهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنَ الصَّبْغِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا وَلَقَدْ كَانَ يَصْبُغُ بِهَا ثِيَابَهُ كُلَّهَا حَتَّى عِمَامَتُهُ<sup>(٢)</sup> و عن عبد الله بن عمرو قال: ( رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي ثوبين معصفرين، فقال: إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها )<sup>(٣)</sup> قال الشوكاني في نيل الأوطار: ( وذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ومالك إلى الإباحة كذا قال ابن رسلان<sup>(٤)</sup> في شرح السنن، قال: وقال جماعة من العلماء بالكراهة للتزييه وحملوا النهي على هذا لما في الصحيحين من حديث ابن عمر قال: ( رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بالصفرة ) زاد في رواية أبي داود والنسائي ( وقد كان يصبغ بها ثيابه كلها ) وقال الخطابي: النهي منصرف إلى ما صبغ من الثياب، وكأنه نظر إلى ما في الصحيحين من ذكر مطلق الصبغ بالصفرة، فقصره على صبغ اللحية دون الثياب، وجعل النهي متوجها إلى الثياب ولم يلتفت إلى تلك الزيادة المصرحة بأنه كان يصبغ ثيابه بالصفرة، ويمكن الجمع بأن الصفرة التي كان يصبغ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير صفرة العصفر المنهي عنه<sup>(٥)</sup>. ووجه النبي ﷺ إلى لبس البياض من الثياب، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألبسوا من الثياب البياض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم )<sup>(٦)</sup> وكلما التزم الداعية إلى الله بالسنة مظهرا ومخبرا زاد جمالا، وكان أصلح حالا. واللباس من العادات يتغير بتغير أحوال الناس، ويختلف من بلد إلى

(١) الروض المربع شرح زاد المستنقع في اختصار المقنع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: سعيد محمد اللحام، بيروت: دار الفكر، ج ١، ص: ٦١ - ٦٢.

(٢) انظر: سنن النسائي - كتاب الزينة من السنن - باب الخضاب بالصفرة، حديث رقم: ٩٣٠٥ (٣٢٩/٨). صححه الألباني .

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب اللباس والزينة - باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، حديث رقم: ٥٥٥٥ (١٤٣/٦).

(٤) أحمد بن حسين بن حسن بن علي، أبو العباس، الرملي الشافعي. ويعرف بابن رسلان. فقيه شافعي، ولد في سنة ٧٧٣هـ — بالرملة ( بفلسطين ) وانتقل في كبره إلى القدس، فتوفي بها سنة ٨٤٤هـ، عالم شارك في بعض العلوم. ولزم الإفتاء والتدريس مدة. وأجازته قاضي القضاة الباعوني بالإفتاء. ومن تصانيفه: " صفوة الزيد " منظومة في الفقه، " و " شرح سنن أبي داود " و " شرح البخاري "، و " تصحيح الحاوي " فقه، و " شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول ". انظر: الأعلام للزركلي (١١٧/١).

(٥) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، بيروت: دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢١هـ، ص: ٣١٤.

(٦) انظر: سنن الترمذي - كتاب الأدب - باب لبس البياض، حديث رقم: ٢٨١٠ (١١٧/٥). انظر: سنن النسائي - كتاب الجنائز - باب أي الكفن خير، حديث رقم: ٩٥٦٧ (٤١٧/٨). و انظر: مسند الإمام أحمد - مسند البصريين رضي الله عنهم. حديث رقم: ٢٠١٨٥ (٣٥٤/٣٣). تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.



آخر وتبقى حدود الشرع هي الظاهرة في لباس المسلم، وهي المحكم وفق نصوص الكتاب والسنة المفصلة في كتب الفقه بالأدلة، وثبت عليها الأحكام، قال ابن جزي في كتابه القوانين الفقهية عند الباب الحادي عشر: ( الفصل الأول في أنواع اللباس وهو ينقسم إلى أقسام الشريعة الخمسة فالواجب ما يستر العورة وما يقي الحر والبرد وما يستدفع به الضرر في الحرب وغيرها، والمندوب كالرداء في الصلاة والتجمل بالثياب في الجمعة والعيدين، وأما الحرام فلباس الحرير والذهب للرجال واشتغال الصماء والاحتباء على غير ثوب يستر العورة، وكل ما فيه سرف أو يخرج إلى البطر والخيلاء، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال في اللباس وغيره، وأما المكروه، فالتلثم وتغطية الأنف في الصلاة، ولباس زي العجم والتعمم بغير قناع ولباس ما فيه شهرة كلباس الصالحين الصرف، والمباح ما عدا ذلك ( ( الفصل الثاني ) ) في أنواع الملابس ويجوز جميعها للنساء، وأما الرجال فيحرم عليهم الحرير والذهب على الجملة <sup>(١)</sup>. ويلزم من ذلك أن يعلم الداعية ما ورد عن الزينة من نصوص شرعية في حق المتجمل من الرجال والنساء؛ ليعلم أحكام الشرع ويعلمها سواء كانت في أوصاف اللباس المشروعة من غيرها، أو مواد اللباس وألوانها، وما يرافقها من زينة كالذهب والفضة وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من أحب أن يطوق حبيبه طوقاً من نار فليطوقه طوقاً من ذهب ومن أحب أن يسور حبيبه سواراً من نار فليسوره سواراً من ذهب، ومن أحب أن يخلق حبيبه حلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب، ولكن عليكم بالفضة العبوا بها لعباً، العبوا بها لعباً » <sup>(٢)</sup>. ومن معاني الحديث وتوجيهاته، أن الجمال ليس فيما حرم الله تعالى، وأن من محبة الرجل لمن يحب من الرجال، أن يعبده عن لباس الذهب من الأطواق أو الأساور أو الخلق وغيره، لأنها سبيل إلى العذاب بالنار يوم القيامة، والمحبة تنافي الإساءة والسوء وتوجب الحسن والإحسان. وجمال اللباس ما كان متيسيراً غير متكلفاً، وهذا اختيار ابن القيم في زاد المعاد عند الحديث عن لباس النبي ﷺ قال: (وَالصَّوَابُ أَنَّ أَفْضَلَ الطَّرِيقِ طَرِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ النَّبِيِّ سَنَّهَا وَأَمَرَ بِهَا وَرَغَّبَ فِيهَا وَدَاوَمَ عَلَيْهَا وَهِيَ أَنَّ هَدْيَهُ فِي اللَّبَاسِ أَنْ يَلْبَسَ مَا تَيْسَّرَ مِنَ اللَّبَاسِ مِنَ الصَّوْفِ تَارَةً وَالْقُطْنِ تَارَةً وَالْكَتَّانِ تَارَةً. وَلُبْسُ الْبُرُودِ الْيَمَانِيَّةِ وَالْبُرْدِ الْأَخْضَرِ وَلُبْسُ الْجُبَّةِ وَالْقَبَاءِ وَالْقَمِيصِ وَالسَّرَاوِيلِ وَالْإِزَارِ وَالرِّدَاءِ وَالْخُفِّ وَالنَّعْلِ وَأَرْخَى الذَّوَابَةَ مِنْ خَلْفِهَا تَارَةً وَتَرَكَهَا تَارَةً. وَكَانَ يَتَلَحَّى بِالْعِمَامَةِ تَحْتَ الْحَنْكِ. وَكَانَ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِي هَذَا الْقَمِيصَ أَوْ الرِّدَاءَ أَوْ الْعِمَامَةَ أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ وَكَانَ إِذَا لَبَسَ قَمِيصَهُ بَدَأَ بِمِيَامِنِهِ. وَلَبَسَ الشَّعْرَ الْأَسْوَدَ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي

(١) القوانين الفقهية، في تلخيص مذهب المالكية والتنبية على مذاهب الشافعية والنفية والمالكية، أبو القاسم محمد بن أحمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٠هـ، ص: ٤٥٤.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الإجارة - باب في كسب المعلم، حديث رقم: ٤٢٣٨ (١٤٩/٤). وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الكثيرين من الصحابة - مسند أبي هريرة رضي الله عنه. حديث رقم: ٨٤١٦ (١٤٠/١٤). حسنه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: رجاله ثقات.

صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرَحَلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ قَتَادَةَ قُلْنَا لَأَنْسَ أَيْ اللَّبَاسِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ الْحَبِيرَةُ. وَالْحَبِيرَةُ بُرْدٌ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ. فَإِنَّ غَالِبَ لِبَاسِهِمْ كَانَ مِنْ نَسَجِ الْيَمَنِ لِأَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْهُمْ وَرَبِّمَا لَيْسُوا مَا يُجْلَبُ مِنَ الشَّامِ وَمِصْرَ كَالْقَبَاطِيِّ الْمَنْسُوجَةِ مِنَ الْكُتَّانِ الَّتِي كَانَتْ تَنْسَجُهَا الْقِبْطُ<sup>(١)</sup> وَكَانَ ﷺ يَحِبُّ الْقَمِيصَ مِنَ الثِّيَابِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقَمِيصُ»<sup>(٢)</sup>. وَكَذَلِكَ كَانَ ﷺ يَحِبُّ مَخَالَفَةَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ فِي اللَّبَاسِ وَالْهَيْئَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ أَشْعَارَهُمْ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرِقُونَ رُءُوسَهُمْ، فَسَدَلَ النَّبِيُّ ﷺ نَاصِيَتَهُ، ثُمَّ فَرَّقَ بَعْدُ»<sup>(٣)</sup>. وَمُفَارَقَةُ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ أَصُولِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَسَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى قَوْلِ ابْنِ حَجَرٍ يَرْحَمُهُ اللَّهُ حَوْلَهُ، فِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ، عِنْدَ الْكَلَامِ عَنْ أَصُولِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ الْمَوْجِبَةِ لِحُبِّهِ اللَّهِ، وَعَلِمْنَا أَنَّ هَذَا الْأَصْلَ يَشْمَلُ الْعُقَائِدَ وَالْعِبَادَاتِ وَالْعَادَاتِ وَمِنْهَا الْهَيْئَةُ فِي اللَّبَاسِ وَالشَّكْلُ لِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ( لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى فَإِنْ تَسَلَّمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةَ<sup>(٤)</sup> بِالْأَصَابِعِ وَتَسَلَّمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةَ بِالْأَكْفِ )<sup>(٥)</sup>. وَلَعُمُومَ حَدِيثِهِ عَنْ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(٦)</sup>. وَيَجِبُ عَلَى الدَّاعِيَةِ الْفَقْهَ وَقُوَّةَ التَّمْيِيزِ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ عِنْدَ مَسْأَلَةِ التَّشْبِيهِ، وَعَدَمَ تَرْكِهَا عَلَى عُمُومِهَا دُونَ تَفْصِيلِ، كُلِّ حَسَبِ حَالِهِ وَمَقَامِهِ وَمَصْلَحَتِهِ وَمَصَالِحِ الْأُمَّةِ؛ وَذَلِكَ لِمَا حَصَلَ مِنْ شِدَّةِ اخْتِلَاطِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فِي شَتَّى الْبُلْدَانِ عَلَى مُخْتَلَفِ الْأَجْنَاسِ، وَلِتَطَوُّرِ وَسَائِلِ الْمَوَاصِلَاتِ وَانْفِتَاحِ مَجَالَاتِ الْأَعْمَالِ وَصُعُوبَةِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ اللَّبَاسِ الْمُخْتَصِّ بِقَوْمٍ أَوْ بِجَنْسٍ أَوْ بِعَقِيدَةٍ. وَكَلَمَا أَدْرَكَ الدَّاعِيَةُ مَعْنَى الْجَمَالِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ذَكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَحَمْدَهُ وَشَكَرَهُ عَلَى

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ، ج ١، ص: ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب اللباس - باب ما جاء في القميص، حديث رقم: ٤٠٢٧ (٧٦/٤). انظر: سنن الترمذي - كتاب اللباس - باب ما جاء في القميص، حديث رقم: ١٧٦٢ (٢٣٧/٤). صححه الألباني.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب الفرق، حديث رقم: ٥٩١٧ (١٦٢/٧). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب في سدل النبي ﷺ شعره وفرقه، حديث رقم: ٦٢٠٨ (٨٢/٧).

(٤) ثبت عن النبي ﷺ أنه أشد بيده لمن سلم عليه وهو يصلي في أحاديث عدة. وقال العلماء: التَّهْيُّ عَنْ السَّلَامِ بِالْإِشَارَةِ مَخْصُوصٌ بِمَنْ قَدَرَ عَلَى اللَّفْظِ حَسًّا وَشَرْعًا وَإِلَّا فَهِيَ مَشْرُوعَةٌ لِمَنْ يَكُونُ فِي شُغْلٍ يَمْنَعُهُ مِنَ التَّلَفُّظِ بِجَوَابِ السَّلَامِ كَالْمُصَلِّيِّ وَالْعَبْدِ وَالْأَخْرَسِ وَكَذَا السَّلَامُ عَلَى الْأَصَمِّ.

(٥) انظر: سنن الترمذي - كتاب الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ - باب في كراهية إشارة اليد بالسَّلام، حديث رقم: ٢٦٩٥ (٥٦/٥). حسنه الألباني.

(٦) انظر: سنن أبي داود - كتاب اللباس - باب في لبس الشهرة، حديث رقم: ٤٠٣٣ (٧٨/٤). حسنه الألباني.

نعمائه وهو واجب كل مسلم ، وعليه أن يسعى في تحقيق ذلك من هذا الباب، حيث إظهار نعمة الله والتحدث بها من محاب الله، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»<sup>(١)</sup>. قال الملا نور الدين القاري: ( قَالَ تَعَالَى: ( وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ )، وَفِي السُّنَنِ أَيْضًا: " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ ". أَيْ لِإِنْبَائِهِ عَنِ الْجَمَالِ الْبَاطِنِ وَهُوَ الشُّكْرُ عَلَى النِّعْمَةِ، وَهَاهُنَا مَزَلَّةٌ لِقَوْمٍ وَمَصْعَدَةٌ لآخرين فِي الْفِعْلِ وَالتَّوَكُّلِ؛ حَيْثُ لَا بُدَّ لِلسَّالِكِ فِيهِمَا مِنْ تَصْحِيحِ النِّيَّةِ وَإِخْلَاصِ تِلْكَ الطَّوِيَّةِ فَلَا يَلْبَسُ بِافْتِخَارٍ وَلَا يَتْرُكُ بُخْلًا وَاحْتِقَارًا )<sup>(٢)</sup> وإظهار النعمة نوع من شكرها ، فشكر النعمة يكون بالظاهر حمدا لله شكرا باللسان، وحسن الحال من اللباس والمسكن والمركب، وغيره من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ، ويكون الشكر باطنا بحسن النية وإصلاح الطوية ، والإقرار بفضل الله إيماننا وحبا لله. قال الإمام البغوي في شرح السنة: ( هذا في تحسين الثياب بالتنظيف، والتجديد عند الإمكان من غير أن يبالغ في النعامة والدقة، ومظاهرة الملبس على الملبس على ما هو عادة العجم )<sup>(٣)</sup>

## ٢) الطيب:

إن من كمال الجمال الطيب والريح الطيبة، حيث الطيب أصل في الحياة والنفوس، والريح الزكية له مكملته، والدعاة إلى الله من لوازم دعوتهم وأحكام شريعتهم الاتصاف بالطيب في أصله ولوازم كماله من الريح الطيبة وغيرها، عن سعيد بن المسيب، يقول: « إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَتَظَفُّوا - أَرَاهُ قَالَ - أَفْنَيْتُكُمْ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ »<sup>(٤)</sup>. وقد علق ابن القيم يرحمه الله على أصل الطيب، فقال: (إن الله سبحانه وتعالى اختار من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه، واختصه لنفسه وارْتَضَاهُ دُونَ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يُحِبُّ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ وَالْكَلَامِ وَالصَّدَقَةِ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَالطَّيِّبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ مُخْتَارُهُ تَعَالَى. وَأَمَّا خَلْقُهُ تَعَالَى فَعَامٌّ لِلنَّوْعَيْنِ وَبِهَذَا يُعْلَمُ عُنْوَانُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَشَقَاوَتِهِ، فَإِنَّ الطَّيِّبَ لَا يُنَاسِبُهُ إِلَّا الطَّيِّبُ، وَلَا يَرْضَى إِلَّا بِهِ وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا يَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ إِلَّا بِهِ، فَلَهُ مِنَ الْكَلَامِ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ الَّذِي لَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا هُوَ، وَهُوَ أَشَدُّ شَيْءٍ نُفْرَةً عَنِ الْفُحْشِ فِي الْمَقَالِ، وَالتَّفَحُّشِ فِي اللَّسَانِ وَالْبَدَاءِ، وَالْكَذِبِ وَالْغِيَةِ وَالتَّمِيمَةِ

(١) انظر: سنن الترمذي-كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، حديث رقم: ٢٨١٩ (١٢٣/٥). وانظر: مسند الإمام أحمد- مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨١٠٧ (٤٦٨/١٣). حسنه الألباني .

(٢) جَمْعُ الْوَسَائِلِ فِي شَرْحِ الشَّيْءِ الْمَلِكِ ، الملا نور الدين علي بن السلطان محمد الهروي القاري ، دار الأقصى. ج ١، ص: ١٤٦ .

(٣) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش ، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ، ط ٢، ج ١٢ ، ص: ٤٩ .

(٤) انظر: سنن الترمذي- كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء في النظافة، حديث رقم: ٢٧٩٩ (١١١/٥). حسنه الألباني في مشكاة المصابيح .

وَأَلْبَهَتْ وَقَوْلَ الزَّوْرِ وَكُلَّ كَلَامٍ خَبِيثٍ. وَكَذَلِكَ لَا يَأْلَفُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا أَطْيَبُهَا، وَهِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي اجْتَمَعَتْ عَلَى حُسْنِهَا الْفِطْرُ السَّلِيمَةُ مَعَ الشَّرَائِعِ التَّبَوُّيَّةِ وَزَكَّتْهَا الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ فَاتَّفَقَ عَلَى حُسْنِهَا الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ، مِثْلُ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَيُؤْتِرَ مَرْضَاتُهُ عَلَى هَوَاهُ وَيَتَحَبَّبَ إِلَيْهِ جَهْدُهُ وَطَاقَتُهُ، وَيُحْسِنَ إِلَى خَلْقِهِ مَا اسْتَطَاعَ فَيَفْعَلُ بِهِمْ مَا يُحِبُّ أَنْ يَفْعَلُوا بِهِ وَيُعَامِلُوهُ بِهِ، وَيَدْعُهُمْ مِمَّا يُحِبُّ أَنْ يَدْعُوهُ مِنْهُ، وَيَنْصَحُهُمْ بِمَا يَنْصَحُ بِهِ نَفْسُهُ، وَيَحْكُمُ لَهُمْ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُحْكَمَ لَهُ بِهِ، وَيَحْمِلُ أَذَاهُمْ وَلَا يُحْمِلُهُمْ أَذَاهُ وَيَكْفِ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ وَلَا يُقَابِلُهُمْ بِمَا تَأْلَوُا مِنْ عَرْضِهِ، وَإِذَا رَأَى لَهُمْ حَسَنًا أَذَاعَهُ وَإِذَا رَأَى لَهُمْ سَيِّئًا كَتَمَهُ، وَيَقِيمُ أَعْذَارَهُمْ مَا اسْتَطَاعَ فِيمَا لَا يُبْطِلُ شَرِيعَةً، وَلَا يُنَاقِضُ لِلَّهِ أَمْرًا وَلَا نَهْيًا<sup>(١)</sup> ولقد تخلل الطيب في شخص النبي ﷺ - قدوة الدعاة وخاتم النبيين - وأخبر الناس به صحابته، ومنهم أحب الرجال إليه وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد وصفه بالطيب في وداعه له حين موت النبي ﷺ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ، وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ<sup>(٢)</sup> - قَالَ إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ<sup>(٣)</sup> - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلُهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ قَالَ: بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا...<sup>(٤)</sup>. وكان ﷺ في حياته يحب الطيب، بل جعله من خصوصيات اختياره من الحياة الدنيا في حبه إياه واختاره على غيره من زينتها، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( إنما حُب إلي من الدنيا ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرّة عيني في الصلاة)<sup>(٥)</sup>. وعن عائشة رضي الله عنها: ( أنها جعلت للنبي بردة سوداء من صوف فلبسها فلما عرق فوجد ريح الصوف طرحها وكان يحب الريح الطيبة)<sup>(٦)</sup>. ومن سننه التشريعية في الطيب أنه لا يرد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ قَالَ: « لَا تَرُدُّوا الطَّيْبَ؛ فَإِنَّهُ طَيْبُ الرِّيحِ، خَفِيفُ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ، ج ١، ص: ٦٥-٦٦.

(٢) السُّنْحُ: يضم ثانيه فيقال: سنح في الموضع والجمع، وهي إحدى محال المدينة كان بها منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تزوج مليكة وقيل حبيبة بنت خارجة بن زيد، من الأنصار، وهي في طرف من أطراف المدينة وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة وبينها وبين منزل النبي ﷺ ميل. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/٢٦٥).

(٣) العالية: تأنيث العالي رجل عال وامرأة عالية، والعالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها، إلى تمامة فهي العالية، وما كان دون ذلك من جهة تمامة فهي السافلة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/٧١).

(٤) انظر: صحيح البخاري-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ-باب مناقب أبي بكر، حديث رقم: ٣٦٦٧ (٥/٦).

(٥) سبق تحريجه، انظر: فهرس الأحاديث.

(٦) انظر: سنن النسائي-كتاب عشرة النساء-باب حب النساء، حديث رقم: ٩٤٨٨ (٨/٣٨٩). وانظر مسند الإمام أحمد-مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٥٠٠٣ (٤١/٤٦٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

الْمَحْمَلِ»<sup>(١)</sup>. والطيب على اختلاف أنواعه الطبيعية والمصنعة الخالية من المؤثرات المنجسة، سمة طيبة في الداعية، تدفع إلى القرب منه، وحسن السماع له، والاستجابة لدعوته؛ فهي صفة محبة للداعية ولما يدعو له. والطيب في الدين هو حسن العبادة، وجميل الخلق وحسن المعاملة بالقول والعمل، قال أبو الطيب المتنبي<sup>(٢)</sup>:

وكلُّ امرئٍ يُولى الجميل مُحَبَّبٌ \*\*\* وكل مكان يُنبِت العزَّ طيِّبٌ

(٣) التيامن :

التيمن من سنن الإسلام الثابتة من فعل النبي ﷺ ومستحباته، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ التَّيْمَنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ فِي طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنَعُّلِهِ)<sup>(٣)</sup>. أورد ابن حجر المقصود بالتيمن في الفتح عند شرحه باب التيمن: ( وأورد المصنف من الحديث طرفاً ليين به المراد بقول عائشة يعجبه التيمن إذ هو لفظ مشترك بين الابتداء باليمين وتعاطي الشيء باليمين والتبرك )<sup>(٤)</sup> وهذه السنة تتعلق في شؤون المرء كلها ويزداد بها أجراً، والداعية إلى الله يدعو إلى لزوم السنة، وهو من أحق الناس بلزومها، ومن فقه الحديث أن من صفات الداعية التيمن لأن فيه إظهار لهذه السنة ودعوة لها، ويشمل ذلك أنواع الطاعات، قال بدر الدين العيني في شرح صحيح البخاري: ( قوله ما استطاع، كلمة ما، يجوز أن تكون موصولة، وتكون بدلا من التيمن، ويجوز أن تكون بمعنى ما دام، وبه احترز عما لا يستطيع فيه التيمن شرعا كدخول الخلاء والخروج من المسجد، قوله في شأنه يتعلق بالتيمن ويجوز أن يتعلق بالحبة، أو بهما على سبيل التنازع، قوله في طهوره بضم الطاء بمعنى طهره، قوله وترجله أي تمشيطة الشعر، قوله وتنعله أي لبسه النعل، فإن قلت: ما موقع في طهوره من الإعراب؟ قلت بدل من شأنه بدل البعض من الكل، فإن قلت: إذا كان كذلك يفيد استحباب التيمن في بعض الأمور، وتأکید شأنه بالكل يفيد استحبابه في كلها، قلت هذا تخصيص بعد تعميم، وخص هذه الثلاثة بالذكر اهتماما بها وبياناً لشرفها، ولا مانع أن يكون بدل الكل من الكل، إذ الطهور مفتاح أبواب العبادات، والترجل يتعلق بالرأس، والتنعل بالرجل، وأحوال الإنسان إما أن تتعلق بجهة فوق، أو بجهة تحت، أو بالأطراف، فجاء لكل منها بمثال، قلت كيف قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان النبي يحب التيمن، والحبة أمر باطني، فمن أين علمت ذلك؟

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب الترجل - باب في رد الطيب، حديث رقم: ٤١٧٤ (٤/١٢٨). صححه الألباني . وأصله عند مسلم في صحيحه .

(٢) دايون أبي الطيب التنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبط: مصطفى السقا وآخرون، بيروت: دار المعرفة، ج ١، ص: ١٨٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب التيمن في دخول المسجد وغيره، حديث رقم: ٤٢٥ (١/٩٢) .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ٢٦٩.

#### (٤) القوة:

(٢) سورة الحاقة : ١٩ - ٣١.

(٦) سورة التوبة : ٦٠ .

فَعَلْتُ كَانَ كَذًا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>. قال القاضي عياض في كتابه إكمال المعلم: ( وفي كل خير " القوة هنا المحمودة يحتمل أنها في الطاعة، من شدة البدن وصلابة الظهر، فيكون أكثر عملاً، وأطول قياماً، وأكثر صياماً وجهاداً وحجاً. وقد تكون القوة هنا في المنة وعزيمة النفس؛ فيكون أقدم على العدو في الجهاد وأشد عزيمة في تغيير المناكر والصبر على إيذاء العدو واحتمال المكروه والمشاق في ذات الله، أو تكون القوة بالمال والغنى فيكون أكثر نفقة في سبيل الخير، وأقل ميلاً إلى طلب الدنيا، والحرص على جمع شيء فيها. وكل هذه الوجوه ظاهرة في القوة. ثم قال - عليه السلام - : " وفي كل خير، للإيمان الذي هو صفتهم، لكن الله قد باين بين خلقه في داره، ورفع بعضهم فوق بعض درجات )<sup>(٢)</sup> والداعية إلى الله تعالى عندما يتحلى بالقوة الإيمانية والعلمية والبدنية، يكون أجدى في إيصال الدعوة إلى الناس، وعندما يتَّحد الدُّعاة إلى الله في الهدف والمنهج، ويتم تنسيق الجهد بحسب الطاقات؛ثمر الدعوة عن النتائج الإيجابية. وهنا مثل في العصر الحاضر يضرب به للدعاة مثلاً في قوة الداعية والدعوة، وهو إمام الدعوة في العصر الحاضر الشيخ محمد بن عبد الوهاب يرحمه الله، حيث جمع بين جوانب القوة المطلوبة من المسلم: قوة العقيدة والعلم، وقوة القول والعمل، قال الشيخ صالح الفوزان في كتابه إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: ( حفظ الشيخ محمد القرآن صغيراً، وقرأ الفقه والتفسير والحديث على أبيه وعلماء بلده، حتى ألم بما عندهم في وقت يسير، مع التروي والمناقشة والتدقيق، حتى أعجب به والده ومشايخه وزملاؤه. ثم تطلع إلى المزيد من العلم فأقبل على كتاب الله، وتفسيره قراءة وتدبراً واستنباطاً، وعلى سنة الرسول ﷺ وسيرته، واستنتج منهما الاستنتاجات العجيبة، وقد دوّن هذه الاستنباطات المفيدة في كتبه ورسائله وفتاويه، وعكف على كتب الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية. والشيخ الإمام ابن القيم، خصوصاً كتب العقيدة. ثم علت به همته وطموحاته فسافر إلى علماء الحرمين وعلماء الأحساء وعلماء البصرة<sup>(٣)</sup> في العراق، والتقى بهم، وأخذ عنهم علماً غزيراً في الفقه والحديث وعلومه، حتى تضلع بالعلم، وأخذ عن كل من تمكن من الالتقاء به من علماء عصره، ومطالعة كتب من تقدمهم من الأئمة المحققين، ودراسة التفسير والحديث دراسة فاحصة مدققة. وعندما نظر إلى واقع أهل

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب القدر - باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، حديث رقم: ٦٩٤٥ (٥٦/٨).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، و أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٧هـ، ج ٨، ص: ١٥٩.

(٣) البصرة : هي من أرض العراق، وهي العظمى، فالبصرة بصرتان: العظمى بالعراق وأخرى بالمغرب، قال ابن الأنباري البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة، وقال قطرب: البصرة الأرض الغليظة التي فيها حجارة تفلع، وذكر الشرقي بن القطامي أن المسلمين حين وافوا مكان البصرة للزول بما نظروا إليها من بعيد وأبصروا الحصى عليها؛ فقالوا إن هذه أرض بصرة يعنون حصبة؛ فسميت بذلك، ومصرّت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سنة ١٧هـ. انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٤٣٠).

عصره وجد البون شاسعاً بين هذا الواقع وبين ما دل عليه الكتاب والسنة، وما كان عليه أئمة السلف الصالح في الاعتقاد والمنهج. فالعلماء في وقته في الغالب مشغولون بدراسة الفقه وعقائد علماء الكلام المخالفة لاعتقاد السلف، دون تمييز بين الصحيح والسقيم. والعامة منهمكون في البدع والخرافات والشركيات ودعاء الأموات، دون أن يهب أحد من العلماء - فيما نعلم - لإصلاح هذا الواقع الأليم، والمرتع الوخيم. عند ذلك لم يسع الشيخ محمداً - يرحمه الله - السكوت عن التغيير والإنكار، والدعوة إلى الإصلاح، والعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتصفية العقيدة الإسلامية مما علق بها، وغير وجهها وبهجتها، وعكّر صفوها ونضرقتها. فعزم على القيام بالدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وباشر الدعوة في بلدة - حريملاء - التي استقر بها والده، ثم طورد منها ثم ذهب إلى العيينة ولم يستقر فيها فذهب إلى الدرعية فوجد فيها القبول والترحيب على يد أميرها: محمد بن سعود يرحمه الله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرَهُ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ <sup>(١)</sup> فواصل الشيخ رحمه الله عمله في الدعوة إلى الله، وراسل علماء البلدان وأمرأها يدعوهم إلى الله، ويبين لهم ما هم واقعون فيه من مخالفات، وألف الكتب، وأجاب عن استشكالات من التبس عليهم الحق بالباطل؛ فاستجاب لدعوة الشيخ من كان رائده الحق، وعاند من كان دافعه التعصب للباطل، فلم ير الشيخ رحمه الله بداً من جهاد هؤلاء بالحجة واللسان من قبله وبالسيف والسنان من قبل ولاية الأمر من آل سعود أثابهم الله <sup>(٢)</sup> وهذا نجاح الداعية والدعوة، مرهون بالتوكل على الله وإخلاص النية، والتكامل في شخصية الداعية، واهتمامه بجوانب القوة المادية والمعنوية، ومن أهمها: العلم والإيمان، والمال وقوة السلطان . وشمول الدعوة لجميع جوانب الحياة .

(١) سورة الطلاق: ٢ - ٣.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٢٣هـ - ج ١، ص: ٧



## المطلب الثاني: العلاقات

إن الداعية إلى الله، أيما كان هو، و أينما كان مركزه في المجتمع، هو فرد من أفرادها، يؤدي دوره الوظيفي ودوره الدعوي، وهذا أصل في رابطة العلاقات الاجتماعية العامة والخاصة، وعلاقات الداعية في الدورين ذات ارتباط بموضوع دعوته، فهو قدوة فيما يدعو إليه، وعليه واجبات وحقوق يجب أن يؤديها، ومتى قام بدوره المناط به، فقد سار على نهج صحيح في تكوين الصلات الحميدة الحميمة بينه وبين الناس، وجنى ثمار دعوته بالقبول، ومتى انقطعت حبال علاقاته، بما يحدثه من صلات ذميمة وتصرفات سقيمة، فإنه سيقف عاجزا عن إيصال دعوته، حيث هذه العلاقات تمثل شبكة خيوطها الحبة والمودة والقربى، في الصلات الحميدة، وفي الصلات الذميمة خيوطها العداوة والجفاء والبعد. وهنا أعرض بعض أنواع العلاقات الواردة في الكتاب والسنة، بلفظ الحب أو معانيه ليرسم الداعية إلى الله الطريق المثلى في تكوين علاقاته، وبممكنه بها معرفة كثير من القواعد المحكّمة في العلاقات، وقد نظمناها على اعتبار موقع الداعية الاجتماعي، وحياته الشخصية، وما يمر عليه من شخصيات ومواقف متعددة تؤثر في تنوع علاقاته، وهذه العلاقات رأيت أنها تنقسم في حقه إلى ثلاثة أقسام: علاقات المجتمع الأسري وعلاقات المجتمع الدعوي، وعلاقات المجتمع العام، ومن دلائل نصوص الكتاب والسنة نستنبط الفوائد والقواعد في علاقات الداعية هذه وفق ما يلي:

### أولاً: علاقات المجتمع الأسري:

#### ١) صلة الأقارب والأرحام:

إن الأقارب والأرحام أولى بالصلة من غيرهم، وتتعدد مظاهر هذه الصلة بما يستطيعه المرء، وما يملكه من قدرات، فهي سبيل إلى توطيد العلاقات، ونشر المحبة بينهم، وهي طريق إلى الجنة. فإن الدعاء والنفقة، والزيارة والهدية، وبذل أصناف الخير لهم، والمواساة ودفع الشر عنهم، وإعانتهم في تفريج الكرب، كل ذلك من مظاهر الصلة التي أمر الإسلام بها، والداعية إلى الله تعد صلة الرحم من الأولويات في حياته، وهو أن يقوم بواجبه تجاه أسرته من الوالدين والزوجة والأبناء والإخوان وذوي القربى والعائلة والعشيرة والقبيلة، وألا يقع في كبيرة القطيعة وإثمها، قال الله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ) <sup>(١)</sup> قال ابن كثير: ( وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال. وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان

بذلك عن رسول الله ﷺ، من طرق عديدة، ووجوه كثيرة (١) فإن صلة الرحم مما أمر الله به أن يوصل، وقد وصف الله تعالى القاطعين لما أمر به أن يوصل بالفسق والخسران والفساد. ومبدأ التزاهة والسلامة يعارض هذا الوصف، والداعية مأمور بالنهي عنه والدعوة إلى ضده، بل إن دواعي المحبة توجب على الداعية أن يبدأ الدعوة بقرابته، ومن أعظم الواجبات أن يأخذ بهم إلى طريق الحق والهداية، وأن يستمر في دعوتهم وإن تولوا وأعرضوا، وحين البدء بالخير في دعوته يبتدئ بهم، قال الله تعالى في حق رسوله ﷺ: ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) (٢) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٤) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ) (٥) عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ سَلِينِي بِمَا شِئْتَ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » (٦).

وأورد ابن جزى في تفسيره عن إنذار القرابة قولين قال: ( قال الزمخشري: في معناه قولان: أحدهما أنه أمر أن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس، والآخر أنه أمر أن لا يأخذه ما يأخذ القريب من الرأفة بقريبه، ولا يخافهم بالإنذار {واخفض جناحك} عبارة عن لين الجانب والرفق، وعن التواضع ) (٧) ويفهم من ذلك أن حسن التعامل مع غير الأقارب في الدعوة أمر شرعي وهو في حق القرابة كذلك بل هو أوجب من حيث البر بالوالدين وحسن العشرة للزوجة والرفقة بالأبناء والإحسان إلى الإخوان؛ فإن حسن علاقة الداعية الأسرية هي المفتاح إلى قلوب أهله وقرابته لما تحدثه فيهم من أثر المحبة المفضية إلى الألفة والاستجابة إلى الحق، وهذه الصلة أثر في حياة الداعية إلى الله من وجهين: الأول: سعة الرزق، والثاني: المباركة في العمر والعمل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » (٨). قال النووي في شرحه: (( يُنْسَأُ ) مَهْمُوزٌ أَيْ يُؤَخَّرُ. وَ ( الْأَثَرُ ) الْأَجَلُ، لِأَنَّهُ تَابِعٌ لِلْحَيَاةِ فِي أَثَرِهَا. وَ ( بَسَطَ الرِّزْقَ ) تَوَسَّعَهُ وَكَثَّرَتْهُ، وَقِيلَ: الْبَرَكَةُ فِيهِ. وَأَمَّا التَّأْخِيرُ فِي الْأَجَلِ فَفِيهِ سَوَالٌ

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ٣١٨..

(٢) سورة الشعراء: ٢١٤ - ٢١٧.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الوصايا-باب هل النساء والولد في الأقارب، حديث رقم: ٢٧٥٣ (٧/٤). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب في قوله تعالى(وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك)، حديث رقم: ٥٢٥ (١٢٣/١).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزى الكلبي الغرناطي، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوه عوض، القاهرة: أم القرى للطباعة والنشر، ج ١، ص: ١٩٧

(٥) انظر: صحيح البخاري-كتاب الأدب-باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم حديث رقم: ٥٩٨٦ (٥/٨) وانظر صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب-باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها حديث رقم: ٦٦٨٨ (٨/٨).

مَشْهُورٌ، وَهُوَ أَنَّ الْأَجَالَ وَالْأَرْزَاقَ مُقَدَّرَةٌ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ، (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) <sup>(١)</sup> وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ بِأَجُوبَةٍ: الصَّحِيحُ مِنْهَا أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ بِالْبِرْكََةِ فِي عُمْرِهِ، وَالتَّوْفِيقَ لِلطَّاعَاتِ، وَعِمَارَةَ أَوْقَاتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَصِيَانَتَهَا عَنِ الضِّيَاعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ. وَالثَّانِي أَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَظْهَرُ لِلْمَلَائِكَةِ وَفِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَيُظْهَرُ لَهُمْ فِي اللَّوْحِ أَنَّ عُمْرَهُ سِتُونَ سَنَةً إِلَّا أَنْ يَصِلَ رَحِمَهُ فَإِنْ وَصَلَهَا زِيدَ لَهُ أَرْبَعُونَ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا سَيَقَعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) <sup>(٢)</sup> فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا سَيَقَعُ بِهِ قَدْرُهُ وَلَا زِيَادَةَ بَلْ هِيَ مُسْتَحِيلَةٌ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا ظَهَرَ لِلْمَخْلُوقِينَ تُتَصَوَّرُ الزِّيَادَةُ، وَهُوَ مُرَادُ الْحَدِيثِ. وَالثَّالِثُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَاءِ ذِكْرِهِ الْجَمِيلِ بَعْدَهُ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ. حِكَاةُ الْقَاضِي، وَهُوَ ضَعِيفٌ أَوْ بَاطِلٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ) <sup>(٣)</sup> وَمِنْهُ نَعْلَمُ أَنَّ محبة المرء لسعة الرزق و زيادة العمر والبركة فيهما من الدوافع الشرعية في صلة الرحم. وعلاقة الداعية الأسرية مناصرة بأداء الحقوق والواجبات الشرعية أولاً. وفي شؤون الدعوة إلى الله على الداعية أن يبذل الأسباب إلى نهاية الأمر، كما فعل النبي ﷺ مع عمه أبي طالب، وأخذ يدعو أقاربه وأهله والناس كافة إلى أن توفاه الله ﷻ وكمل به الدين، ومن ضعف الفقه عند بعض الدعاة أن يبدأ الداعية الدعوة ذات اليمين وذات الشمال في بلده أو غيرها من البلاد، وبيته وأهله في ضياع وضلال، وهو قد شغل بدعوة الآخرين، وقد تجده في أكبر من ذلك، أنه مفرط في حقوقهم ومقصر في واجباته تجاههم. وهذا خطر على الدعوة والدعاة.

## ٢) العدل بين الأبناء:

تقوم علاقة الأب والابن على المحبة الفطرية، فإن الحب يبعث الرحمة في قلب الأب على ابنه ويفضله على غيره من الناس، ويبعث الحب التضحية في قلب الابن من أجل أبيه. وينطلق من هذه العلاقة مطلب العدل بين الأبناء، فإنه يطفئ نار الحسد والعداوة بينهم، ويقربهم من والدهم، وحكم ذلك كثيرة تصب في إشاعة المحبة والألفة بينهم على المستوى الأسري وينعكس ذلك على المجتمع، وفي قصة يوسف ﷺ مع إخوته آيات عظيمة، فقد وصفت في القرآن أنها من أحسن القصص؛ لما فيها من الدروس والعبر؛ فإن النظرة الناقدة من الابن لأبيه في غير الحق؛ تورث الجراة عليه وعلى غيره، ومن منطلق التقدير الخاطئ أخذ إخوة يوسف ﷺ يرقبون علاقة أبيهم مع يوسف ﷺ وأخيه، حتى سول لهم الشيطان أنه يحبه دونهم، وأنهم أحق بالحب منه؛ لقيامهم بشؤون أبيهم، وهكذا ظهرت الغيرة وسيطر الحسد على نفوسهم، وأخذهم

(١) سورة الأعراف : ٣٤ .

(٢) سورة الرعد : ٣٩ .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢،

التفكير في الخلاص منه مأخذ الاتفاق، وهموا على فعلتهم ونفذوها، قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلَّسَّائِلِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٣﴾) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى: لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات، أي عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك، المستخبرين عنه، فإنه خبر عجيب، يستحق أن يستخبر عنه، { إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا } أي: حلفوا فيما يظنون: والله ليوسف وأخوه -يعنون بنيامين، وكان شقيقه لأمه- { أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ } أي: جماعة، فكيف أحب ذينك الاثنين أكثر من الجماعة؛ { إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } يعنون في تقديمهما علينا، ومحبة إياهما أكثر منا.... { اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ } يقولون: هذا الذي يراحكم في محبة أبيكم لكم، أعدموه من وجه أبيكم، ليخلو لكم وحدكم، إما بأن تقتلوه، أو تلقوه في أرض من الأراضي، تستريحوا منه، وتختلوا أنتم بأبيكم، وتكونوا من بعد إعدامه قوما صالحين. فأضمروا التوبة قبل الذنب) (٢) ومن حكمة الله العظيمة في قصة يوسف عليه السلام أن يظهر الله الحق للناس، ويبين لهم آياته لعلهم يتفكرون.

وموضوع العدل بين الأبناء تعد المحبة المتبادلة بين الآباء والأبناء، هي المحور والأس فيه والمركز، فيجب أن تعطى المحبة الظاهرة للجميع حتى لا تورث انحرافا في العلاقات بينهم. وإلا فإن القلب يميل إلى البعض دون بعض؛ نظرا لمؤثرات الأقوال والأفعال من الأبناء، ولرؤية الآباء وآمالهم في أبنائهم؛ بما يحقق الأمل. وكذلك من واجبات الآباء متابعة الانحراف عند أبنائهم؛ فإن غفلة الآباء عن الأبناء، يحدث خلا في التربية، ويسبب القطيعة والفشل في العلاقات الأسرية والاجتماعية. فمن الحكمة أن يلتفت الآباء لمصالح أبنائهم وعلاقتهم مع بعضهم، ومع غيرهم؛ ليستدرك الأمر في مهده ويبعد الزلل، ويصلحوا مواطن الخل. ويبقى عامل التفضيل بالحوافز والتشجيع عنصر هام في العلاقات الأسرية للتربية على الخير وبعث التنافس الشريف والمودة بين الأبناء، وبه يتم تفضيل الفاضل على المفضول، أما العطاء الجائر فقد فنى عنه الشرع، عن التَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رضي الله عنه أَنَّ أُمَّهُ بَنَتْ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنَتِهَا، فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا وَهَبْتَ لِابْنِي. فَأَخَذَ أَبِي يَدَيَّ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ هَذَا بَنَتْ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهَدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنَتِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَا بَشِيرُ أَلَيْكَ وَلَدٌ سَوَى هَذَا ». قَالَ نَعَمْ. فَقَالَ « أَكُلْتُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا ». قَالَ لَا. قَالَ: « فَلَا تُشْهَدْنِي إِذَا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ » (٣) وقد أمر الشرع بالعدل في الكيل

(١) سورة يوسف: ٧ - ٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٣٧٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الشهادات-باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، حديث رقم: ٢٦٥٠ (١٧١/٣). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الهبات-باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، حديث رقم: ٤٢٦٩ (٦٦/٥).

والوزن والقول، ونبه إلى أن محبة القرابة قد تميل بصاحبها إلى غير العدل (أي: إلى الظلم) أو نقصان الحق. وأوجب على المسلم العدل فيما يستطيع، وعفا عما يخرج عن طاقة الإنسان من إدراك العدل فيه، قال الله تعالى: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِمِثْلِ لَعَلَّكُمْ تُذَكَّرُونَ) <sup>(١)</sup> قال صاحب أضواء البيان: (قَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ، أَمَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِالْعَدْلِ فِي الْقَوْلِ، وَلَوْ كَانَ عَلَى ذِي قَرَابَةٍ، وَصَرَّحَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِالْأَمْرِ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ وَالِدَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُّوا قُوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> ومن الدروس والمواقف العظيمة في تاريخ وسير السلف الصالح ما يوقف دعاة العصر في حيرة أمام قلوب أولئك الأخيار في أقوالهم وأفعالهم، ومن أقوالهم قول عمر رضي الله عنه: (فَأَثَرْتُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى حُبِّي) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَرَ، «أَنَّهُ فَرَضَ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةٍ وَفَرَضَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لِأَبِيهِ لَمْ فَضَّلْتَ أُسَامَةَ عَلَيَّ فَوَ اللَّهِ مَا سَبَقَنِي إِلَى مَشْهَدٍ. قَالَ لِأَنَّ زَيْدًا كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَبِييكَ وَكَانَ أُسَامَةُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْكَ فَأَثَرْتُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى حُبِّي» <sup>(٤)</sup>. علاقة القرابة بين عمر وابنه عبد الله عظيمة، يبينها له في هذا الموقف فأعطاه حقه وأوفاه حبه، وبين له الواجب في حب رسول الله ﷺ ومن يحبه ﷺ. وهكذا تكون علاقة الداعية مع أبنائه، علاقة حب وحلم وأدب وعلم.

## ثانيا: علاقات المجتمع الدعوي:

علاقات الداعية إلى الله تظهر في ميدان الدعوة ولا يمكن لها الحصر؛ فإن الأرض اليوم أصبحت كبيت أحدنا، تعلم ما يدور في جوانبه وتكلم من فيه فيسمع ويحجب، وتراه ويراك، حيث يعيش العالم اليوم تطورا سريعا وكبيرا في المواصلات ووسائل الاتصال وتقنية نقل المعلومات، وميدان الدعوة إلى الله ميدان شامل، ويمثله الأسرة والمجتمع والعالم أجمع. والدعاة إلى الله في عمل دؤوب عبر وسائل الدعوة المعنوية والمادية، يبلغون رسالة الله إلى العالم بأنفسهم وما يملكون من وسائل، ولكن يجب أن نعلم أن الداعية إلى الله ملزم بقواعد شرعية في التعامل مع هذا العالم في ميدان الدعوة منها:

- ١- التعاون على البر والتقوى مع سائر الدعاة إلى الله، الذين يدعون إلى الدعوة الشاملة والقائمة على التأصيل من تصحيح العقيدة بالدعوة إلى التوحيد الخالص ونشر الفقه في الدين، الأخلاق الفاضلة.
- ٢- الدعوة إلى الله على علم وبصيرة وبذل الجهد الكافي من أجلها بالأساليب والوسائل الشرعية.

(١) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٢) سورة النساء: ١٣٥.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥ هـ، ج ١، ص: ٥٤٧.

(٤) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٨١٣ (٦٧٥/٥). ضعفه الألباني

٣- الدعوة إلى الله بحكمة وعدل وترفق وتدرج مقدما الأهم ثم المهم وإعطاء كل ذي حق حقه.

وهنا أعرض شواهد مما ورد بلفظ الحب في الكتاب والسنة، بخصوص علاقات الداعية في ميدان الدعوة وأثر المحبة في هذه العلاقات:

#### (١) علاقة الداعية مع العصاة من المسلمين :

علاقات الداعية إلى الله تتجدد أثناء قيامه بدوره الدعوي في ميدان الدعوة ، وتتأكد في مواقف عدة بصيغة عامة تظهر في بذل الجهد؛ من أجل تعزيز الثوابت العقدية و الفقهية لدى المسلمين وبيان الأحكام لهم، والذكرى الدائمة بحسن الخلق وحسن الأخذ من الدنيا، والاستعداد للآخرة. ومن الشخصيات التي يتعامل معها الداعية إلى الله أصحاب الذنوب والمعاصي وكل ابن آدم خطاء، فمن واجبات الداعية هنا سؤال الله العافية مما ابتلوا به، ودعوة المذنبين إلى التوبة والإنابة، وفتح باب الأمل، وأن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وأنه يغفر الذنوب جميعا، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) <sup>(١)</sup> وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا <sup>(٢)</sup>. ومن هذا يعلم أن كل مذنّب سوف يستمسك بحبل النجاة من ظلمات الذنوب كبيرها وصغيرها، ويدعو الله ويحمده على أن هداه إلى التوبة، ويجب الداعية الذي أرشده وأنقذه من المهلكات، وأعاناه على التوبة والهداية ويدعو له، فيجب أخذ المسلمين العاصين وغيرهم بأصل السلامة والبراءة ، ما لم يحدث ادعاء وخصومة، وذلك من حكمة الداعية ورؤيته ورويته المطلوبة شرعا وعقلا ( حدث عَبْدُ الرَّحِيمِ بن الحُصَيْنِ العَدْرِي القَاضِي، قال: كنت عند فضالة <sup>(٣)</sup> بن عبيد الأنصاري، فأتاه رجل يسارق يحمل سرقة، فَقَالَ لَهُ فَضَالَةُ: لعلك وجدتها! لعلك التقطتها! فَقَالَ لَهُ الرجل: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (البقرة: ١٥٦) إنه ليلقنه، قال: إي والله أصلحك الله لوجدتها، فخلّى فضالة سبيله <sup>(٤)</sup>. ومهما كان الذنب فإن المسلم ذو عقيدة عظيمة، هي عقيدة التوحيد، ودون الشرك تغفر كل الذنوب، إذا خلصت العقيدة في القلوب، عن عمر بن الخطاب <sup>(٥)</sup> أن رجلاً كان على عهد النبي <sup>(ص)</sup> كان اسمه عبد الله وكان يُلقب حماراً وكان يُضحك رسول الله <sup>(ص)</sup>، وكان النبي <sup>(ص)</sup> قد جلدّه في الشراب، فَأُتِيَ به يوماً فَأَمَرَ به فجلّد، فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما

(١) سورة النساء : ١١٠ - ١١١ .

(٢) فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب بن أصرم بن جحجى ، القاضي، الفقيه، أبو محمد الأنصاري الأوسي. صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أهل بيعة الرضوان . ولي الغزو لمعاوية، ثم ولي له قضاء دمشق، وكان ينوب عن معاوية في الإمرة إذا غاب. وله عدة أحاديث. قال الواقدي: شهد فضالة أحداً، والحدق، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم خرج إلى الشام، فسكنها، وكان قاضياً بالشام . قال ابن معين: دفن فضالة بباب الصغير. وقال المدائني وغيره: مات سنة ثلاث وخمسين. وقال خليفة: توفي سنة تسع وخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/١١٤) ..

(٣) أخبار القضاة ، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّي البَغْدَادِيّ، الملقَّب بِـ"وَكَيْع" ، تحقيق : عبد العزيز مصطفى المراغي ، مصر: المكتبة التجارية الكبرى ، ط ١ ، ١٣٦٦هـ، ج ٣ ، ص : ٢٠١ .

يؤتى به ! فقال النبي ﷺ: «لا تَلْعَنُوهُ، فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(١)</sup>. ومنه يتبين للداعية أن صلاح العقيدة ومحبة الله ورسوله ﷺ، حصان للمذنبين من الوقعية فيهم، وعليهم من الحد ما أوجب الشرع، بل يجب إعتناهم على الاستقامة وفي رواية أخرى ( لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك ) قال ابن حجر يرحمه الله في الفتح: ( قال ابن بطال: يؤخذ منه أن كل من أقيم عليه الحد لا يعزر بالتعنيف واللوم، وإنما يليق ذلك بمن صدر منه قبل أن يرفع إلى الإمام للتحذير والتخويف، فإذا رفع وأقيم عليه الحد كفاه، ويؤيد هذا فهمه ﷺ عن سبب الذي أقيم عليه حد الخمر، وقال: "لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك" )<sup>(٢)</sup> لا شك بأن أثر العقوبة على المذنب شديد، وهو حكم الله ونفذ أمر الله، وقد يكون أشد منه، ما يفعله الناس بملاحقة هذا المذنب بذنبه في المجتمع سواء في نفسه أو سمعته أو أسرته، حيث يستدعي ذلك بواعث الجريمة أو الخطأ، ويورث هذا نقمة على المجتمع أو الشرع أو العودة بقوة إلى نفس الخطأ أو غيره، عنادا من نفسه الأمانة بالسوء، وغواية من الشيطان، وهذا ينافي المحبة المأمور بها شرعا. ومن يتسبب في ذلك بملاحقته والوقعية فيه فهو مخالف لأصل العلاقات بين المسلمين التي تقوم على المحبة، ومن علاماتها التعاون على صلاح الظاهر والباطن، ولكن هذه المحبة من جهة أخرى؛ توجب المحافظة على الحقوق من نفس و مال وعرض، بمنع الشفاعة في حدود الله، محبة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، عن عائشة رضي الله عنها «أن قريشاً أهتمهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: «من يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؟ فكلهم رسول الله ﷺ، فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»<sup>(٣)</sup>.

أورد ابن حجر في الفتح عدة فوائد من هذا الحديث منها قوله: (وفي هذا الحديث من الفوائد منع الشفاعة في الحدود، وقد تقدمت في الترجمة الدلالة على تقييد المنع بما إذا انتهى ذلك إلى أولي الأمر، واختلف العلماء في ذلك، فقال أبو عمر بن عبد البر: لا أعلم خلافا أن الشفاعة في ذوي الذنوب حسنة جميلة ما لم تبلغ السلطان، وأن على السلطان أن يقيمها إذا بلغته وذكر الخطابي وغيره عن مالك، أنه فرق بين من عرف بأذى الناس ومن لم يعرف، فقال لا يشفع للأول مطلقا سواء بلغ الإمام أم لا، وأما من لم يعرف بذلك فلا بأس أن يشفع له ما لم يبلغ الإمام. وتمسك بحديث الباب من أوجب إقامة الحد على القاذف إذا بلغ الإمام ولو عفا المقذوف، وهو قول الحنفية والثوري والأوزاعي وقال مالك والشافعي وأبو يوسف

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الحدود- باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج عن الملة، حديث رقم: ٦٧٨٠ (٨/١٥٨).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١٢، ص: ١٦٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الحدود- باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، حديث رقم: ٦٧٨٨ (٨/١٦٠).

يجوز العفو مطلقاً، ويدراً بذلك الحد؛ لأن الإمام لو وجده بعد عفو المقذوف لجاز أن يقيم البيعة بصدق القاذف، فكانت تلك شبهة قوية. وفيه دخول النساء مع الرجال في حد السرقة. وفيه قبول توبة السارق. ومنقبة لأسامة. وفيه ما يدل على أن فاطمة رضي الله عنها<sup>(١)</sup> عند أبيها ﷺ في أعظم المنازل. فأن في القصة إشارة إلى أنها الغاية في ذلك عنده، ذكره ابن هبيرة<sup>(٢)</sup> وقد تقدمت مناسبة اختصاصها بالذكر دون غيرها من رجال أهلها، ولا يؤخذ منه أنها أفضل من عائشة لأن من جملة ما تقدم من المناسبة كون اسم صاحبة القصة وافق اسمها ولا تنتفي المساواة. وفيه ترك الحباة في إقامة الحد على من وجب عليه ولو كان ولداً أو قريباً أو كبير القدر، والتشديد في ذلك، والإنكار على من رخص فيه أو تعرض للشفاعة فيمن وجب عليه. وفيه جواز ضرب المثل بالكبير القدر للمبالغة في الزجر عن الفعل<sup>(٣)</sup>.

## ٢) علاقة الداعية مع المسلمين الجدد:

ومن علاقات الداعية في ميدان الدعوة علاقته بالمسلمين الجدد، وهم الذين دخلوا في الإسلام حديثاً بعد ترك أديانهم الجاهلية أو المخرفة كاليهودية والنصرانية، ومن أهم واجبات الداعية حيال هؤلاء فهم حقيقة المسلم الجديد، ومعرفة ما يدور في نفسه وإجابته بما يطمئن نفسه ويثبتته على الإسلام، ومنها أن الإسلام يهدم ما قبله، أي من الذنوب والآثام ويظهر المرء بدخوله في الإسلام، كما يلزم المسلمين مساعدته بكل أشكال المساعدة، ليصبح مسلماً نافعا، ومن أهم المهمات تجاهاه العمل على التأصيل العلمي لديه؛ ليفهم الإسلام فهماً صحيحاً، وتقديم العون المادي له بما يضمن له حياة مستقرة، مما يؤلف قلبه ويعيش على محبة لدينه وللمسلمين والإنسانية، فيدعو الناس وخاصة قومه إلى طريق الإسلام والهداية، ونستلهم من سير السلف الصالح درسا عظيماً في تكوين شخصية عمرو بن العاص الإسلامية بحكمة السراج المنير نبينا

(١) في الأصل عند ابن حجر في فتح الباري: عليها السلام . ومنهج أهل السنة والجماعة الترضي على الصحابة ذكورا وإناثا .

(٢) ابن هبيرة الوزير ، عون الدين، يمين الخلافة، أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم، الشيباني الدورى العراقي الحنبلي، صاحب التصانيف. مولده بقرية بني أوقر من الدور، أحد أعمال العراق، في سنة تسع وتسعين وأربع مئة. ودخل بغداد في صباه، وطلب العلم، وجالس الفقهاء، وتفقه بأبي الحسين بن القاضي أبي يعلى والأدباء، وسمع الحديث، وتلا بالسبع، وشارك في علوم الإسلام، ومهر في اللغة، وكان يعرف المذهب والعربية والعروض، سلفياً أثرياً، ثم إنه أمضه الفقر، فتعرض للكتابة، وتقدم، وترقى، وصار مشارف الخزانة، ثم ولي ديوان الزمام للمقتفي لأمر الله، ثم وزر له في سنة ٥٤٤، واستمر ووزر من بعده لابنه المستنجد. وكان ديناً خيراً متعبداً عاقلاً وقوراً متواضعاً، جزل الرأي، باراً بالعلماء، مكبا مع أعباء الوزارة على العلم وتدوينه، كبير الشأن، حسنة الزمان. سمع أبا عثمان بن ملة، وهبة الله بن الحصين، وخلقاً بعدهما. وسمع الكثير في دولته، واستحضر المشايخ، وبلغهم، وبذل لهم. قال ابن الجوزي: كان يجتهد في اتباع الصواب، ويحذر من الظلم ولا يلبس الحرير، وكان يكثر مجالسة العلماء والفقراء، ويبذل لهم الأموال، فكانت السنة تدور وعليه ديون، وقال: ما وجبت علي زكاة قط. ثم صار يسأل الله الشهادة، ويتعرض لأسبابها، وفي ليلة ثالث عشر جمادى الأولى سنة ستين وخمس مئة استيقظ وقت السحر، فقهاء، فحضر طبيبه ابن رشادة، فسقاه شيناً، فيقال: إنه سمه، فمات انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٢٦/٢٠).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ،



محمد ﷺ التي بدلت العداوة إلى محبة، وكونت شخصا يضرب به المثل في الفتح الإسلامي، عَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمُهْرِيِّ<sup>(١)</sup> قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ؓ - وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ - فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوْلَ وَجْهِهِ إِلَى الْجِدَارِ. فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ! أَمَا بَشَرَكُ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَرَكُ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا؟ قَالَ فَأَقْبَلَ بَوَجْهِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعَدُّهُ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثَ. لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ مِنِّي. وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَّ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ. فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ. قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي. قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي. قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ. وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ. وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ. وَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَذْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مِتُّ، فَلَا تَصْحَبُنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشَبُّوا عَلَيَّ الشَّرَابَ شَنًّا. ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنَحَرُ جُزُورٌ وَيُقَسَمَ لَحْمُهَا حَتَّى اسْتَأْنَسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أَرَا جُعَ بِهِ رَسُولُ رَبِّي<sup>(٢)</sup>. لَا يُمْكِنُ الْوَصْفُ لِلْمَحَبَةِ الَّتِي سَيَّطَرَتْ عَلَى كِيَانِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، مُحَبَّةٌ لِدِينِهِ وَمَحَبَّةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلَا نَخْرُجُ عَنْ وَصْفِهِ قَالَ: (وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ. وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ. وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ) هكذا تكون نتائج علاقة الداعية بالمدعوين في ميدان الدعوة من الحب والتضحية والحياء والتقدير والاحترام.

إن المحبة تكون سببا في تكوين العلاقات الدعوية وتكون نتيجة، فتتسبب علاقات بسبب المحبة وتنتج المحبة من علاقات قامت على غيرها بادئ الأمر، وحينما يكون الحدث متوافقا مع حكمة الداعية وحسن أخلاقه، وبذلك البر في دعوته إلى الهدى الذي جاء به خير البرية؛ تكون نابتة المحبة في أصل علاقاته، ويجزن الداعية محبة وقد يبكي عندما يرى الموانع الشيطانية تحول دون وصول الخير للمدعوين ولأهله خاصة، ولكن عليه الاستمرار في الدعوة والدعاء، فقد بكى أبو هريرة رضي الله عنه حزنا حين أبت أمه الإسلام، وبكى فرحا بإسلامها حبا لها، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ. فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَاسْمَعَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ مَا أَكْرَهُ. فَاتَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَبْكِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْتِي عَلَيَّ. فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَاسْمَعَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ. فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ

(١) عبد الرحمن بن شماسه البصري المهري، سمع عقبة بن عامر وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، سمع منه يزيد بن أبي حبيب. انظر التاريخ الكبير للبخاري (٢٩٥/٥).

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، حديث رقم: ٣٣٦ (١/٧٨).

رَسُولُ اللَّهِ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ. فَلَمَّا جِئْتُ فَصَرْتُ إِلَى الْبَابِ. فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ. فَسَمِعْتُ أُمَّي خَشْفَ قَدَمَيَّ. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَأَغْتَسَلْتُ وَلَبِسْتُ دَرْعَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا. فَفَتَحْتُ الْبَابَ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَاتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَشِّرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْعُ اللَّهُ أَنْ يُحِبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحِبِّبَهُمَ إِلَيْنَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا — يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ — وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ. وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ» فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلَا يَرَانِي، إِلَّا أَحَبَّنِي.<sup>(١)</sup> ومنه نعلم أن المحبة مطلب فردي واجتماعي ندرك أهميته من طلب أبي هريرة لها، وهكذا الداعية يجب أن يجعلها من أهدافه ومطالبه في ميدان الدعوة فلا يحدث ما يحول بين محبته للناس أو محبة الناس له، ولو عارضوه وناذبوه، فليقدم المعروف والحسنة أمام منكراتهم وسيناتهم، انجابة لأمر الله تعالى: (أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِسَيِّئَةٍ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ)<sup>(٢)</sup>.

### ٣) حماية الدعوة والحذر من الأعداء:

إن الدعوة إلى الحق في أي مجتمع لا بد أن تواجه بصد من أهل الباطل وقد يكون هذا الصد فردياً تحكمه الأهواء والمطامع الشخصية، أو يكون اجتماعياً تحكمه العصبية والعقائد الفاسدة وحب الجاه والتقاليد، وكان لزاماً على الداعية أن يعرف هذا، ويتعرف على من يصدر عنهم هذا الأمر؛ ليستطيع التعامل معهم بموجب ظروف الحال، بالصبر والحكمة والحذر، قال الله تعالى: (وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) (٣) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ<sup>(٤)</sup> لقد واجه النبي ﷺ أعداء الدعوة الإسلامية من قومه وغيرهم من القبائل في مكة وواجه المشركين وأهل الكتاب في المدينة، وأُتِيَ الله به القلوب بالإيمان فآمن من آمن وكفر من كفر، ونصره الله نصرًا مؤزرًا بعد صبر وحكمة وحذر وإن أخطر ما كان يواجهه ﷺ العدو الداخلي - المنافقون - وهو أخطر ما تواجهه الدعوة عموماً، قال الله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْزِلُ يُؤْفَكُونَ)<sup>(٥)</sup> قال الإمام الطبري: (يقول كأن هؤلاء المنافقين خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ لا خير عندهم ولا

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي هريرة ؓ، حديث رقم: ٦٥٥١. (١٦٥/٧)

(٢) سورة المؤمنون: ٩٦.

(٣) سورة النحل: ١٢٧ - ١٢٨.

(٤) سورة المنافقون: ٤.

فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول (١) وقد واجه النبي ﷺ ثلثة منهم في صدر الدعوة بالمدينة وتولى كبرهم عبد الله بن أبي بن سلول، عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ (٢) عَلَى قَطِيفَةٍ فَذَكِيَّةٌ (٣)، وَأَرْدَفَ أُسَامَةُ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ، وَفِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَةُ الْأَوْثَانُ وَالْيَهُودُ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ. فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَةِ حَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ قَالَ: لَا تَغْبِرُوا عَلَيْنَا. فَسَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَوَقَفَ وَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ، إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاعْشَيْنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نَحِبُ ذَلِكَ. فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَشَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، فَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ فَقَالَ لَهُ: أَيُّ سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ — يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي — قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ، فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ، وَلَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحِيرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوَجَّهَ فَيُعَصَّبُوهُ، فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِّقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ» (٤). ففِي ذَهَابِ النَّبِيِّ ﷺ لِسَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ وَحِكَايَتِهِ مَوْقِفَ ابْنِ سَلُولَ حَمَاةً لِلدَّعْوَةِ، حَيْثُ سَعَدَ ﷺ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَهَذَا الْمُنَافِقُ ابْنُ سَلُولَ مِنَ الْخَزْرَجِ. وَكَذَلِكَ نَتَأَمَّلُ مَوْقِفَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، وَمَحَبَّتَهُ لِلدَّعْوَةِ وَحَمَايَتِهِ لَهَا حَيْثُ قَالَ: (بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاعْشَيْنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نَحِبُ ذَلِكَ) فَمَنْ وَاجِبُ الْمُسْلِمِ الذَّبُّ عَنْ دَعْوَةِ الْحَقِّ مَحَبَّةً لِلْحَقِّ، وَأَنْ يَسْعَى فِي تَكْوِينِ عِلَاقَاتِهِ عَلَى الْمَحَبَّةِ الَّتِي تَدْفَعُ لَوْحِدَةِ الصَّفِّ أَمَامَ الْأَعْدَاءِ، وَأَصْنَافِ الْمَكْرِ مِنَ الْأَعْدَاءِ تَتَعَدَّدُ وَأَهْدَافُهَا ضِدَّ الدَّاعِيَةِ وَاضِحَةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ) (٥) وَمَعَ هَذَا الْمَكْرِ، فَإِنْ إِرَادَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَالِبَةُ، وَأَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا، فَإِنْ الدَّاعِيَةُ يَتَعَرَّضُ لِلْبَلَاءِ وَبِهِ الرِّفْعَةُ مِنَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْمَحْنِ وَعَلَيْهِ الصَّبْرُ، وَبِهِ وَمَعَهُ يَكُونُ الظَّفَرُ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْكَيدِ وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَخْذُ أَسْبَابِ الْحَذَرِ فِي السَّلَامِ، وَفِي الْحَرْبِ أَشَدُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٣، ص: ٣٩٥.

(٢) (أكف) الإكاف و الأكَاف من المراكب شبه الرِّحَالِ والأَقْتَابِ. أَكَافُ الْحِمَارِ وَإِكَافُهُ وَوُكَافُهُ وَالْجَمْعُ أَكُفٌّ انظر: لسان العرب لابن منظور (٨/٩).

(٣) قوله: (على قطيفة فذكية) أي كساء غليظ منسوب إلى (فذك) بفتح الفاء والدال وهي بلد مشهور على مرحلتين من المدينة. انظر فتح الباري لابن حجر (٢٣١/٨).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب {وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا}، حديث رقم: ٤٥٦٦ (٣٩/٦).

(٥) سورة الأنفال: ٣٠.

كتابه الكريم: ( يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ بَعِرُوا جَمِيعًا )<sup>(١)</sup> وقد تعرض النبي ﷺ لأنواع كثيرة من الأذى، ومحاولات القتل ونجاءه الله من أكثرها، وجعل له فضل الشهادة وشرفها في إحدى هذه المحاولات، عن أبي الأحوص<sup>(٢)</sup>، عن عبد الله، قال: « لأن أحلف تسعاً أن رسول الله ﷺ، قتل قتلاً أحب إليّ من أن أحلف واحدة، أنه لم يقتل، وذلك بأن الله جعله نبياً واتخذهُ شهيداً ». قال الأعمش<sup>(٣)</sup>: فذكر ذلك لإبراهيم، فقال: كانوا يرون أن اليهود سموه وأبا بكر<sup>(٤)</sup>. وهكذا ذكر ذلك ابن القيم في زاد المعاد: ( وَلَمَّا احْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ احْتَجَمَ فِي الْكَاهِلِ وَهُوَ أَقْرَبُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُمَكِّنُ فِيهَا الْحِجَامَةُ إِلَى الْقَلْبِ، فَخَرَجَتْ الْمَادَّةُ السَّمِيَّةُ مَعَ الدَّمِ لَا خُرُوجًا كُلِّيًّا، بَلْ بَقِيَ أَثَرُهَا مَعَ ضَعْفِهِ لَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ تَكْمِيلِ مَرَاتِبِ الْفَضْلِ كُلِّهَا، لَهُ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِكْرَامَهُ بِالشَّهَادَةِ ظَهَرَ تَأْثِيرُ ذَلِكَ الْأَثَرِ الْكَامِنِ مِنَ السَّمِّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، وَظَهَرَ سِرُّ قَوْلِهِ تَعَالَى لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ: ( أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ )<sup>(٥)</sup> فَجَاءَ بِلَفْظٍ كَذَّبْتُمْ بِالْمَاضِي الَّذِي قَدْ وَقَعَ مِنْهُ، وَتَحَقَّقَ وَجَاءَ بِلَفْظٍ " تَقْتُلُونَ " بِالْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي يَتَوَقَّعُونَهُ وَيَنْتَظِرُونَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ )<sup>(٦)</sup> فإن من أبرز علاقات الداعية في ميدان الدعوة الحذر من الأعداء، وتكوين علاقات الوحدة والأخوة بين الدعاة خاصة والمسلمين عامة.

#### ٤) اتخاذ الإخوان المخلصين والأخلاء المتقين:

قال الله تعالى: ( الْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ )<sup>(٧)</sup> يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْذَرُ مِنْ أَنْ نَكُونُ نَحْوَهُمْ. إن الأخوة في الله، والخلقة القائمة على التعاون على البر والتقوى وصلاح الحال، أصل في علاقات المسلم بالمسلم، وهي أولى في حق الدعاة إلى الله أثناء تكوين علاقاتهم مع المدعوين، أو مع بعضهم البعض، حيث الأخوة تمثل الوحدة والوحدة تمثل القوة، عن أبي سعيد الخدري قال: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ

(١) سورة النساء: ٧١.

(٢) سبقت ترجمته، انظر: فهرس الأعلام.

(٣) سليمان بن مهران أبو محمد الأعمش الكاهلي مولاهم الكوفي، أخرج له البخاري في الإيمان وغير موضع عن شعبة والثوري وابن عيينة وأبي عوانة وأبي معاوية وحفص بن غياث ووکیع وجريير ومحمد بن كثير وغيرهم، ولد سنة إحدى وستين، قال العتيبي: ولد يوم قتل الحسين رضي الله عنه قال البخاري وقال أبو نعيم مات سنة ثمان وأربعين ومائة وهو أحد الأئمة في الحديث الحفاظ الأئمة. انظر: التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي (١١٦/٣).

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حديث رقم: ٣٨٧٣ (٤١٨/٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) سورة البقرة: ٨٧.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٤٠٧ هـ، ج ٤، ص: ١٢٣.

(٧) سورة الزخرف: ٦٧ - ٦٨.

اللَّهُ سبحانه خَيْرَ عَبْدٍ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدٍ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ؟ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمْنَا. قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ، إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ. لَا يَسْبِقُنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»<sup>(١)</sup>.

ومن فوائد هذا الحديث، أن الداعية يجب عليه أن يتخذ من المؤمنين أصحابا، يرافقونه على درب الدعوة ويشاركونه خيرها، وأعز مثال لذلك صحبة أبي بكر الصديق للنبي ﷺ ونصرته للإسلام من أول أيامه وحتى مماته، حتى أصبح على علم وفهم؛ لإرادات صاحبه الظاهرة ومقالاته، أورد ابن بطال في شرحه: ( قال المهلب: فيه التعريض بالعلم للناس، وإن قل فهماءه، خشية أن يدخل عليهم مساءة أو حزن. وفيه: أنه لا يستحق أحد العلم حقيقة إلا من فهم، والحافظ لا يبلغ درجة الفهم، وإنما يقال للحافظ عالم بالنص لا بالمعنى والتأويل؛ ألا ترى أن أبا سعيد جعل لأبي بكر مزية بفهمه، أوجب له بها العلم حقيقة وإن كان قد أوجب العلم للجماعة )<sup>(٢)</sup> وهذه الأخوة والمودة هي أصل صلة الداعية مع المسلمين عامة، ومع المقربين منه خاصة، فيجب عليه أن يبرزها ويبين مشاعره لهم، ويوضح الأسباب التي بنيت عليها هذه المودة، وذلك مما يوثق الصلات بين الدعاة والأصفياء من المدعوين والأصحاب، وذلك مما يعزز الدعوة وينصرها ويقوي شأنها، بل يتعدى الأمر إلى أن تكون المحبة شعار الدعاة وأصحابهم في الدنيا والآخرة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: « إن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة، قال: أي يوم هذا؟ قالوا يوم الاثنين، قال: فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِي فَلَا تَنْتَظِرُوا بِي الْغَدَ فَإِنْ أَحَبُّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي إِلَيَّ أَقْرَبُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ »<sup>(٣)</sup>. وهذا مبلغ الغاية في الحب أن يحس بشوق اللقاء وينتظر عود العلاقة إلى أصلها بعد الفراق، والسرعة في الاجتماع مع الأحبة، وفيه إثبات عقيدة المسلم القائمة على الإيمان بالبعث والنشور، واجتماع المؤمنين في الجنة ورؤية بعضهم بعضا في سرور وحبور.

##### ٥) الحذر والتحذير من الفتنة والفرقة:

إن المجتمع المسلم، الأصل فيه الوحدة والإتلاف، فمن أجل ذلك أدخل تعددية الأديان والمذاهب ضمن نظامه وتشريعاته، من بوابة العدل والتوازن والشمول، وصولا إلى دائرة الانسجام الاجتماعي الموحد تحت

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب الخوخة والممر في المسجد، حديث رقم: ٤٦٦ (١/١٠٠).

(٢) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٢، ص: ١١٤..

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم: ٤٥ (١/٢١٨). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند:

إسناده ضعيف .

مظلة الحكم بما أنزل الله، أما الفتن فهي أحداث عارضة، تشق الصف الواحد، وتمزق أواصر العلاقات في المجتمع، وعلى الداعية أن ينظر بعين البصيرة في اتقاء الفتن والحذر والتحذير منها. قال الله تعالى: (وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)<sup>(١)</sup> قال ابن كثير يرحمه الله في تفسيره: (يحذر تعالى عباده المؤمنين {فِتْنَةً} أي: اختباراً ومحنة، يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب، بل يعمهما، حيث لم تدفع وترفع)<sup>(٢)</sup> والوقاية من الفتن إحدى مهمات الداعية، وفي تاريخ الإسلام دروس كثيرة في محاربة الفتن، ومن أشهرها فتنة الخوارج حيث نبتت من معارضة ذي الخويصرة<sup>(٣)</sup> لقسمة النبي ﷺ بقوله (اعدل) ومن مهيج الفتن في العهد النبوي (عبد الله بن أبي سلول) ونبتت على المجتمع المسلم من أرض النفاق الصلدة، ومن زارع الفتنة المنافق عبد الله بن سبأ الذي أظهرها من حب رجال على رجال، والتدخل في ولايات الحاكم الشرعي من غير شورى منه، فأدت إلى مقتل خليفة المسلمين عثمان رضي الله عنه وانشقاق صف المسلمين، ونشوب الحرب بينهم، كموقعي صفين والجمل في عهد خليفة المسلمين علي رضي الله عنه، والواجب وأد الفتن في مهدها والانتباه إلى خطرها، وهذا هو طريق الهدى الذي عليه سلف الأمة الصالح، عن عمرو<sup>(٤)</sup> بن أبي قرة، قال: «كَانَ حُذَيْفَةُ بِالْمَدَائِنِ فَكَانَ يَذْكُرُ أَشْيَاءَ قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي الْغَضَبِ، فَيَنْطَلِقُ نَاسٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ حُذَيْفَةَ فَيَأْتُونَ سَلْمَانَ فَيَذْكُرُونَ لَهُ قَوْلَ حُذَيْفَةَ، فَيَقُولُ سَلْمَانُ: حُذَيْفَةُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى حُذَيْفَةَ فَيَقُولُونَ لَهُ: قَدْ ذَكَّرْنَا قَوْلَكَ لِسَلْمَانَ فَمَا صَدَّقَكَ وَلَا كَذَّبَكَ، فَأَتَى حُذَيْفَةُ سَلْمَانَ وَهُوَ فِي مَبَقْلَةٍ فَقَالَ، سَلْمَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَدِّقَنِي بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ سَلْمَانُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ فَيَقُولُ فِي الْغَضَبِ لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَيَرْضَى فَيَقُولُ فِي الرِّضَا لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: أَمَا تَنْتَهِي حَتَّى تُورِثَ رَجُلًا حُبَّ رَجُلٍ، وَرَجُلًا بُغْضَ رَجُلٍ وَحَتَّى تُوقِعَ اخْتِلَافًا وَفُرْقَةً، وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ فَقَالَ: أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً أَوْ لَعْنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضِبُ كَمَا يَغْضِبُونَ وَإِنَّمَا بَعْثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). وَاللَّهِ لَتَنْتَهِينَ أَوْ لَا كُتِبَ إِلَى عُمَرَ (فَتَحَمَّلَ عَلَيْهِ بَرَجَالٍ فَكَفَّرَ يَمِينَهُ وَلَمْ يَكْتُبْ إِلَى عُمَرَ وَكَفَرَ قَبْلَ الْحَنْثِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَبْلَ وَبَعْدَ كُلِّهِ جَائِزٌ)»<sup>(٥)</sup>. قال

(١) سورة الأنفال: ٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ٤، ص: ٣٧.

(٣) اسمه: عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي، وقيل: حرقوص بن زهير أصل الخوارج. انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٩٢).

(٤) عمرو بن أبي قرة الكندي، كوفي تابعي ثقة. انظر: معرفة الثقات للعجلي (١٨١/١) عمرو بن أبي قرة، واسمه سلمة بن معاوية بن وهب بن قيس بن وهب بن حجر الكندي. روى عن: حذيفة بن اليمان، وسلمان الفارسي، وعمر بن الخطاب. روى عنه: عمر بن قيس الماصر، وأبو إسحاق الشيباني. قال أبو حاتم: ليس به بأس، كان أبوه من أصحاب سلمان. وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات". روى له البخاري في "الأدب" وأبو داود حديثاً واحداً. انظر: تهذيب الكمال للمزي (١٩١/٢٢).

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب السنة - باب في النهي عن سب أصحاب رسول ﷺ، حديث رقم: ٤٦٦١ (٤/ ٣٤٧) صححه الألباني.

أبو الطيب الأبادي: ( حَتَّى تُورِثَ رَجَالًا حُبَّ رَجَالٍ وَرَجَالًا بُغْضَ رَجَالٍ ) الْمَعْنَى: حَتَّى تُدْخَلَ فِي قُلُوبِ بَعْضِ الرِّجَالِ مَحَبَّةُ بَعْضِ الرِّجَالِ، وَفِي قُلُوبِ بَعْضِهِمْ بُغْضُ بَعْضِهِمْ <sup>(١)</sup> وميدان الدعوة اليوم تموج به رياح الحزبية المفرقة للوحدة والانتماءات العصبية الممزقة للأخوة والمركزية الفكرية في نطاق محدود مغلق أو نطاق واسع مغلق، وهذه الحال ما هي إلا نتيجة حتمية لحال المسلمين بما أصابهم من ضعف وفرقة على الصعيد العقدي والفكري والسياسي والاقتصادي، ويجب على الدعاة في هذه الحال بذل الجهود في الإبقاء على الأصول الشرعية بتصفية العقيدة من شوائب البدع والخرافات وتصحيح المناهج المنحرفة بالنصيحة والحكمة، ومساندة بعضهم البعض بالتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى، وتهذيب واقع الدعوة بالرجوع إلى الكتاب والسنة سواء كان على مستوى الأفراد أو المؤسسات امتثالاً لأمر الله، قال الله تعالى: ( وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رَاحَتُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) <sup>(٢)</sup> فَإِنَّ الطَّاعَةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ هي الأصل في حياة المسلم ونجاته، وبما تسد أبواب الفتن والفرقة، وبما وجب على الدعاة التواصي بالحق في علاقاتهم بعضهم مع بعض، سواء كانوا في قطر واحد أو بلاد متعددة، قال البغوي في تفسيره لسورة العصر: ( {وَتَوَاصَوْا} أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، {بِالْحَقِّ} بِالْقُرْآنِ، قَالَ الْحَسَنُ وَقْتَادَةُ، وَقَالَ مِقَاتِلٌ: بِالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَإِقَامَةِ أَمْرِ اللَّهِ ) <sup>(٣)</sup> وكلما كان التعاون بين الدعاة قائماً على الإخلاص والمحبة، وبرفق وحكمة، وامتنعت عنه حظوظ النفس والهوى والعصبية؛ كان تأثيره في جمع الكلمة والرجوع إلى الحق قوياً وسديداً وموفقاً وصائباً.

### ثالثاً: علاقات المجتمع العام:

#### ١) الزيارة وإجابة الدعوة:

إن الداعية إلى الله مثال يحتذى به في الأخلاق وحسن الطباع، وهو قدوة في المشاركة الاجتماعية من زيارة إخوانه المسلمين، وجيرانه والنصح لهم وإجابة دعوتهم، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَاجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَأَنْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ » <sup>(٤)</sup>. وهذا الأمر - الزيارة وإجابة الدعوة - جزء من دعوته ونصيب من خلقه، وسنة من سنن المصطفى ﷺ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: « إِنَّ خِيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، المدينة المنورة : المكتبة السلفية ، ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ ، ج ٩ ، ص : ١٨٧٨ .

(٢) سورة الأنفال: ٤٦ .

(٣) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٨، ص: ٥٢٢ .

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب السلام - باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم : ٥٧٧٨ (٣/٧) .

ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزاً ومرفاً فيه دُبَاءٌ وقديدٌ، فرأيتُ النبي ﷺ يتتبعُ الدُّبَاءَ من حَوَالِي القَصْعَةِ<sup>(١)</sup>. قال: فلم أزلُ أَحِبُّ الدُّبَاءَ<sup>(٢)</sup> من يومئذٍ<sup>(٣)</sup>. ومن هذا الحديث ندرك تواضع النبي ﷺ في إجابته للدعوة من الخياط، وهو من عامة الناس وليس من وجهائهم، وأكل من طعامه، بل تبينت محبته ﷺ للدُّبَاءِ، ونقل أنس رضي الله عنه محبته إياها اتباعاً للنبي ﷺ، وهكذا تكون صورة الداعية في المجتمع، ينظر إليه حتى في أكله وطريقة شربه، فيجب عليه أن يدرك ذلك كي ينقل الحق الذي جاء به الشرع في كل شيء. وعليه أن يكون متواضعاً فيما يقدم له من طعام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ( لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ، أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ، أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ )<sup>(٤)</sup>. ومما يتطلبه دور الداعية الاجتماعي إجابة الدعوات، وتلبية الحاجات؛ وفعل الخيرات، ومع تعدد حاجات الناس ومطالبهم بين الدنيا والدين من واجب الداعية بذل الجهد في تقديم المستطاع لهم، ويمثل ذلك دور إيجاب يحقق به الداعية المصالح الشرعية في المجتمع، عن عَثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصْرِي وَأَنَا أَصْلِي لِقَوْمِي، فَإِذَا كَانَتِ الْأَمْطَارُ، سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ. وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًى. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ عَثْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَذِنَتْ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟ قَالَ: فَأَشْرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةِ مَنْ الْبَيْتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ، فَقَمْنَا فَصَفَفْنَا فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ: وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةٍ<sup>(٥)</sup> صَنَعْنَاهَا لَهُ، قَالَ فَنَابَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ — أَوْ ابْنُ الدُّخَيْشِنِ —؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ

(١) (قصع) القاف والصاد والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تطاؤنٍ في شيء أو مطامنةٍ له. من ذلك القَصْعَةُ، وهي معروفة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩٢/٥).

(٢) قوله: (كان يحب الدُّبَاءَ ومرفاً فيه دُبَاءٌ) بضم الدال وتشديد الباء ممدود ويقصر أيضاً وهو القرع الذي يوكل بتسكين الراء وهو جمع واحدة دبابة ومن قصر قال في الواحدة دباه، انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (٢٥٢/١).

(٣) انظر: صحيح البخاري — كتاب البيوع — باب ذكر الخياط، حديث رقم: ٥٤٣٦ (٧٨/٧). وانظر: صحيح مسلم — كتاب الأشربة — باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين وإيثار أهل المائدة بعضهم بعضاً، حديث رقم: ٥٤٤٦ (١٢١/٦).

(٤) انظر: صحيح البخاري — كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها — باب القليل من الهبة، حديث رقم: ٢٥٦٩ (١٥٤/٣).

(٥) (خزر) الخاء والزاء والراء أصلان. أحدهما جنسٌ من الطَّيِّخِ، والآخر ضيقٌ في الشيء. فالأول الخَزِيرُ، وهو دقيقٌ يُلْبَكُّ بِشَحْمٍ. وكانت العربُ تعيِّرُ آكلَهُ. والثاني الخَزَرُ، وهو ضيقُ العينِ وصغرُها. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٨٠/٢). وقيل الخَزِيرَةُ مَرْقَةٌ وهي أَنْ تُصَفَّى بِلَالَةٍ التُّخَالَةِ ثُمَّ تُطْبَخُ، وقيل الخَزِيرَةُ والخَزِيرُ الحَسَا من الدسم والدقيق، وقيل الحَسَا من الدَّسَمِ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٣٦/٤).



إلى المنافقين. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهِ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: ثُمَّ سَأَلْتُ الْحُصَيْنَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ - وَهُوَ أَحَدُ بَنِي سَالِمٍ وَهُوَ مِنْ سَرَائِهِمْ - عَنْ حَدِيثِ مُحَمَّدٍ بْنِ الرَّبِيعِ، فَصَدَّقَهُ بِذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

ونستلهم من هذا الحديث الدروس الدعوية العظيمة في مشاركة الداعية الناس وإجابة دعوتهم ومن أجل هذه الدروس ما ذكره ابن حجر في الفتح، قال: (وفيه إكرام العلماء إذا دعوا إلى شيء بالطعام وشبهه، وفيه التنبيه على أهل الفسق والنفاق عند السلطان، وفيه أن السلطان يجب عليه أن يستثبت في أمر من يذكر عنده بفسق ويوجه له أجمل الوجوه، وفيه أن الجماعة إذا اجتمعوا للصلاة وغاب أحد منهم أن يسألوا عنه، فإن كان له عذر وإلا ظن به الشر وهو مفسر في قوله لقد هممت أن آمر بحطب، وفيه جواز استدعاء المفضول للمفاضل لمصلحة الغرض، وفيه إمامة الزائر المزور برضاه، وفيه أن السنة في نوافل النهار ركعتان وفيه خلاف على ما سنذكره إن شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup>، وفيه جواز استتباع الإمام والعالم أصحابه، وفيه الاستئذان على الرجل في منزله وإن كان قد تقدم منه استدعاء، وفيه أنه يستحب لأهل المحلة إذا ورد رجل صالح إلى منزل بعضهم أن يجتمعوا إليه ويحضرُوا مجلسه لزيارته وإكرامه والاستفادة منه، وفيه الذب عن من ذكر بسوء وهو بريء منه، وفيه أنه لا يخلد في النار من مات على التوحيد<sup>(٣)</sup> ولا يقتصر دور الداعية على زيارة المسلمين، بل حتى أعداء الدعوة ومن ضل عن الحق، يجب على الداعية أن يكون سمحا في علاقاته، داعيا لهم إلى الحق بأخلاقه، مذكرا لهم في زيارته، بأن النجاة تتحقق باتباع الصراط المستقيم، ولا تقوم على التحيز، محبة لفئات أجناس دون أخرى، وخاصة من تبين ضلاله وهلاكه، لعل الذكرى تنقذه من سوء الخاتمة، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ عَرَفَ فِيهِ الْمَوْتَ. قَالَ: قَدْ كُنْتُ أَنُهَاكَ عَنْ حُبِّ يَهُودٍ. قَالَ فَقَدْ أَبْغَضَهُمْ أَسْعَدُ بْنُ زَرَّارَةَ فَمَهْ<sup>(٤)</sup>. فَلَمَّا مَاتَ أَتَاهُ ابْنُهُ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي قَدْ مَاتَ، فَأَعْطِنِي قَمِيصَكَ أَكْفِنَهُ فِيهِ، فَتَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب المساجد في البيوت، حديث رقم: ٤٢٥ (٩٢/١).

(٢) كلام المؤلف يرحمه الله.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٦، ص: ٤٤٧.

(٤) وقوله: (فَمَهْ) استفهام كأنه قال: فما يكون. والعرب تبدل الهاء بالألف؛ لقرب مخرجها كقولهم: ومهما يكن عند امرئ من خليقة والأصل ما يكون عند امرئ، فأبدل الهاء من الألف. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطل (٣٨٥/٧). و (مه) الميم والهاء، كلمتان تدلُّ إحداهما على زجر، والأخرى على منظر ولذة. فالأولى قولهم: مه. ومهمه به: زجره بقوله له ذلك. والمهمه: الحرق الأملس الواسع. والأخرى قولهم: ليس له مهة، إذا لم يكن جميلاً. ويقولون: "كل شيء مهة ومهاة إلا النساء وذكرهن". والمهاة: اللذة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٦٧/٥).

(٥) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجنائز - باب في العيادة، حديث رقم: ٣٠٩٦ (١٥١/٣). قال الألباني: ضعيف الإسناد، لكن قصة القميص صحيحة.

وكما أن إجابة الدعوة إشاعة للمحبة وتأكيد للألفة في المجتمع المسلم؛ فإنه كذلك الزيارة في المنزل من المسلم للمسلم، وطلب الجار لجاره محبة وتفقد لأحواله، تزيد المحبة عمقا وتزيد المجتمع قوة، وبها يصلح دين المرء ودينه، عن سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه، قال: «جاء النبي إلى سعد فقال: السلام عليكم، فرد سعد وخافت، فلما رأى النبي أنه لا يؤذن له انصرف فخرج سعد في أثره فقال: يا رسول الله ما منعي أن أسمعك إلا أني أحببت أن أستكثر من تسليمك، فرجع معه فوضع له ماءً في جفنة فاغتسل ثم أمر بملحفة مصبوغة بورس فالتحف بها كأني أنظر إلى الورس في عُكَّة جنبه، فقال: اللهم صلّ على الأنصار، وعلى ذرية الأنصار»<sup>(١)</sup>. فمن فوائد الزيارة بين المسلمين المحبة بينهم والأجر العظيم، عن عبادة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: (حققت محبتي على المتزاورين في... الحديث)<sup>(٢)</sup>. فمن فاز بمحبة الله فقد فاز فوزا عظيما، فمن أخلاق المسلم أن يلتزم بآداب الشرع في الزيارة ومن أهمها إلقاء السلام والاستئذان، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ٢٨ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)<sup>(٣)</sup> قرأ ابن عباس: حتى تستأذنوا. قال البغوي في تفسيره: (والقراءة المعروفة تستأنسوا وهو بمعنى الاستئذان. وقيل: الاستئناس طلب الأُنس، وهو أن ينظر هل في البيت إنسان فيؤذَنهم إني داخل. وقال الخليل: الاستئناس الاستبصار من قوله: آنت ناراً، أي: أبصرت. وقيل: هو أن يتكلم بتسبيحة أو تكبيرة أو يتنحج، يؤذن أهل البيت. وجملة حكم الآية: أنه لا يدخل بيت الغير إلا بعد السلام والاستئذان. واختلفوا في أنه يقدم الاستئذان أم السلام؟ فقال قوم: يقدم الاستئذان فيقول: أأدخل سلام)<sup>(٤)</sup> ومن الآداب المقررة في الشرع الاستئذان، واختيار وقت الزيارة المناسب والإعلام بها؛ ليصلح المزور من حاله، وبيته بما يلائم، ويستتر العورة. فإن لم تسنح الفرصة لذلك وكانت الزيارة لغرض ما، وجب ما يستتر العورة من الاستئذان وغض البصر، فإن سمح بالدخول وإلا رجع حيث مقصد الشرع أن جعل الاستئذان من أجل النظر، وجعل من أجل الظرف المناسب وقتا وحالا، ومدى الاستقبال فيه.

(١) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة - كيف السلام، حديث رقم: ١٠٠٨٣ (٩/١٢٩).

(٢) سبق تخرجه، انظر: فهرس الأحاديث.

(٣) سورة النور: ٢٧ - ٢٨.

(٤) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ.

ج ٦، ص: ٢٩.

## ٢) الشفاعة ومساعدة الغارمين:

الشفاعة الحسنة من محاسن الشريعة، تتحقق بها بعض مصالح العباد الدينية والدنيوية فيما بينهم، وهي رابطة عرفية أقرها الإسلام في علاقات المسلمين، وجعل لها ضابطاً منظماً، قال الله تعالى: (مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا هُوَ يَشْفَعُ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِمَّا هُوَ يَشْفَعُ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا) أي: من سعى في أمر، فترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك {وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا} أي: يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيتته<sup>(١)</sup> ول مقام الداعية إلى الله بين الناس في الدعوة إلى الخير ول حصول محبة الناس له، وحسن الظن به، جعل ذلك منه مقصداً في الشفاعة بين الناس بعضهم من بعض، وعلاقات الداعية هذه تفرض عليه هذا الدور، وعليه أن يفقه قسماً الشفاعة - الحسنة والسيئة - حتى لا يدخل إلى الظلم من بوابة الشفاعة وتضم الحقوق على يديه بدل أن تقضى، فإن في الشفاعة الحسنة الأجر والثوبة، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، إِذَا آتَاهُ طَالِبٌ حَاجَةً، أَقْبَلَ عَلَى جُلْسَانِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا تُوجَرُوا. وَلَيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ»<sup>(٢)</sup>. فالشفاعة لا تناقض محبة الله في طاعة أمره واجتناب نهيهِ فإن حكم الله نافذ ورحمته واسعة، قال ابن حجر في الفتح: (وفي الحديث الخض على الخير بالفعل وبالتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى الكبير في كشف كربته، ومعونته ضعيف إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس، ولا التمكن منه ليلج عليه أو يوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، وإلا فقد كان ﷺ لا يحتجب، قال عياض: ولا يستثنى من الوجوه التي تستحب الشفاعة فيها إلا الحدود، وإلا فما لأحد فيه تجوز الشفاعة فيه ولا سيما ممن وقعت منه المفوة أو كان من أهل الستر والعفاف، قال: وأما المصرون على فسادهم المشتهرون في باطلهم، فلا يشفع فيهم ليزجروا عن ذلك)<sup>(٣)</sup> ومن أكثر ما يكون بين الناس في الشفاعة الدماء والعلاقات الأسرية والحقوق المالية، ومن باب الدعوة إلى إصلاح ذات البين، على الداعية أن يشارك بالشفاعة الموصلة إلى العدل والإصلاح والتيسير، قال الله تعالى: (وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)<sup>(٤)</sup>، وقد كان النبي ﷺ يسعى مع أصحابه في حوائجهم، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: «أن أباه استشهد

(١) سورة النساء: ٨٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٣٦٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري-كتاب الزكاة-باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، حديث رقم: ٦٠٢٦ (١٢/٨).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج ١٠، ص: ٤٥١.

(٥) سورة البقرة: ٢٨٠.

يوم أحد، وترك ستّ بنات، وترك عليه ديناً، فلما حضر جداد<sup>(١)</sup> النخل، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد علمت أن والدي استشهد يوم أحد، وترك عليه ديناً كثيراً، وإني أحب أن يراك الغرماء قال: اذهب فيبدر<sup>(٢)</sup> كل تمر على ناحية. ففعلت، ثم دعوته، فلما نظروا إليه أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدرأ ثلاث مرّات، ثم جلس عليه، ثم قال: ادع أصحابك. فما زال يكيل لهم حتى أدى الله أمانة والدي، وأنا والله راض أن يؤدي الله أمانة والدي، ولا أرجع إلى أخواني تمرّة، فسلم والله البيادر كلّها، حتى أُنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص تمرّة واحدة». والواقع الاقتصادي المعاصر للمجتمعات المسلمة، يحتم على الدعاة أن يبذلوا الجهد في مساعدة الفقراء وإغاثة المنكوبين، والبدء بأهل الحاجة من بلدانهم، ومساعدة الغارمين في قضاء ديونهم، وتبصير الناس بخطر الربا، وغرر القروض الكبيرة المؤجلة، والمساهمات المالية الجهولة، والمغامرات التجارية غير المدروسة وغيرها.

### ٣) لين الجانب وسهولة المأخذ:

إن الداعية إلى الله في خلطته الاجتماعية يواجه أصنافاً من الناس، مختلفة الأفهام، متنوعة في المقام، يسدر منهم القول والفعل باختلاف أعمارهم وعقولهم، مما يجدر بالداعية أن يلتزم المنهج الصحيح في التعامل مع الجميع، بصفات عامة وجه إليها القرآن الكريم في آياته، من أعظمها التواضع في المشي واللقاء وكذلك حكمة الخطاب بالقول الحسن والتجاوز عن الجاهل، قال الله تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)<sup>(٣)</sup> قال ابن الجوزي في تفسيره: (ومعنى {هَوْنًا}: مشياً رويداً. ومنه يقال: أَحَبُّ حبيبك هَوْنًا ما. وقال مجاهد: يمشون بالوقار والسكينة. {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} أي: سداداً. وقال الحسن: لا يجهلون على أحد، وإن جهل عليهم حلّموا. وقال مقاتل بن حيان<sup>(٤)</sup>: {قالوا

(١) (جد) الجيم والدال أصول ثلاثة: الأول العظمة، والثانية الخط، والثالث القطع. والجداد والجَداد، وهو صِرَام النَّخْل. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٠٦/١).

(٢) (بدر) الباء والدار والراء، أصلان: أحدهما كمال الشيء وامتلاؤه، والآخر الإسراع إلى الشيء. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠٨/١). والبيدر والبيادر بفتح الباء، ذكرت في الحديث هي للتمر كالأنادر للطعام، يجمع فيها إذا جدو يسمى الجرير أيضاً والجوخان، وقوله بيدر كل تمر على حدته أي أجعل لكل صنف بيدرًا ولا تخلط به غيره. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (١٠٦/١).

(٣) سورة الفرقان: ٦٣.

(٤) مقاتل بن حيان، كنية أبو بسطام النبطي، كان يقال حيان نبطي وهو لقب لأنه جاء من العراق مولى لبكر بن وائل بن ربيعة، ويُقال: مولى لبني تيم الله، وكان بليخ سمع مسلم بن هيصم، روى عنه علقمة بن مرثد. وهرب مقاتل بن حيان، مولى مسقلة بن هبيرة الشيباني، استجاروا بروتيل، فكَرِه مقاتل المقام في أرض الشرك، فخرج، فلما سار ليلتين مات. انظر: التاريخ الأوسط للبخاري (٣٠٣/٣) و(٣٣٦/٣) روى عن سالم بن عبد الله ومجاهد والضحاك والحسن وشهر بن حوشب وعكرمة وقتادة وابن بريدة وعمته عمرة، وعن منصور بن يحيى بن معين أنه قال: مقاتل بن حيان ثقة. انظر: الجرح والتعديل لابن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (٣٥٣/٨).

سلاماً أي: قولاً يَسْلَمُونَ فيه من الإثم<sup>(١)</sup>، ومن رسم السنة في تواضع النبي ﷺ كراهته للقيام له، عن أنس رضي الله عنه قال: «لم يكن شخصاً أحب إليهم من رسول الله، قال: وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لَذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>. أورد المباركفوري في تحفة الأحوذى: (نقل العيني في شرح البخاري عن أبي الوليد بن رشد<sup>(٣)</sup>: أن القيام على أربعة أوجه: الأول محذور وهو أن يقع لمن يريد أن يقام إليه تكبرا وتعظما على القائمين إليه، والثاني: مكروه وهو أن يقع لمن لا يتكبر ولا يتعظم على القائمين ولكن يخشى أن يدخل نفسه بسبب ذلك ما يحذر ولما فيه من التشبه بالجبابرة، والثالث: جائز وهو أن يقع على سبيل البر والإكرام لمن لا يريد ذلك ويؤمن معه التشبه بالجبابرة، والرابع: مندوب وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحا بقدومه ليسلم عليه، أو إلى من تجددت له نعمة فيهنته بحصولها أو مصيبة فيعزيه بسببها انتهى. وقال الغزالي القيام على سبيل الإعظام مكروه وعلى سبيل البر والإكرام لا يكره. قال الحافظ في الفتح: هذا تفصيل حسن<sup>(٤)</sup> وروى أبو داود في سننه، خَرَجَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَابْنِ عَامِرٍ فَقَامَ ابْنُ عَامِرٍ، وَجَلَسَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ عَامِرٍ اجْلِسْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمَثَلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٥)</sup>. فَإِنَّ الدَّاعِيَةَ إِلَى اللَّهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِنِ الْجَانِبِ، سَمَحَ اللِّقَاءِ، يَأْخُذُ النَّاسَ بِلُطْفِ الْقَوْلِ وَحَسَنِ الصَّنِيعِ ، وَلَا يَجْعَلُ الْمَكَانَةَ وَالْمَنْصِبَ وَالْمَالُ حَاجِزًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ

(١) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤ هـ، ج ٦، ص: ١٠١.

(٢) انظر: سنن الترمذي-كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، حديث رقم : ٢٧٥٤ (٩٠/٥). وانظر : مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم : ١٢٣٤٥ (٣٥٠/١٩). صححه الألباني . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الشهير بالحفيد . مولده قبل موت جده بشهر سنة عشرين وخمس مئة.، من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها، يكنى أبا الوليد روى عن أبيه أبي القاسم استظهر عليه الموطأ حفظاً، وأخذ الفقه عن أبي القاسم بن بشكوال وأبي مروان بن مسرة وأبي بكر بن سمحون وأبي جعفر بن عبد العزيز وأبي عبد الله المازري، وأخذ علم الطب عن أبي مروان بن جزيول البلنسي، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، ودرس الفقه الأصول وعلم الكلام، ولم ينشأ بالأندلس مثله : كمالاً وعلماً وفضلاً. وكان على شرفه ، أشد الناس تواضعاً وأخفضهم جناحاً، وعني بالعلم من صغره إلى كبره ومال إلى علوم الأوائل وكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره. وله تآليف جليلة الفائدة منها كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) في الفقه، ذكر فيه أسباب الخلاف وعلل ووجه فأفاد وأمتع به، ولا يعلم في وقته أنفع منه ولا أحسن سياقاً. وكتاب (الكليات) في الطب (ومختصر المستصفى) في الأصول، وغير ذلك، تنيف على ستين تأليفاً. وهدت سيرته في القضاء بقرطبة، وتأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة ولم يصرفها في ترفيه حال ولا جمع مال إنما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة، ومنافع أهل الأندلس عامه، انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٠٧/٢١) وفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة توفي الفقيه القاضي الحافظ الحفيد أبو الوليد بن رشد صاحب البداية والنهاية وغيرهما ودفن بمراكش ثم نقل إلى مقبرة سلفه بقرطبة. انظر : الوفيات لأبي العباس الخطيب (٥٩٦/١).

(٤) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، اعتنى به: رائد بن صبري بن أبي علفه، الأردن: بيت الأفكار الدولية، ط ٥، ٢٠٠٣ م، ج ٢، ص: ٢٠٨٢.

(٥) انظر: سنن أبي داود-كتاب الأدب- باب قيام الرجل للرجل، حديث رقم : ٥٢٣١ (٥٢٧/٤). وانظر : مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين - حديث معاوية رضي الله عنه ، حديث رقم : ١٦٨٣٠ (٣٩/٢٨). صححه الألباني . تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

الناس. فإن الرفق والأخذ السهل والحلم، قواسم في شخصية الداعية يتصف بها بلين الجانب، حيث هو من صفات المصطفى ﷺ، قال الله تعالى: ( وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ )<sup>(١)</sup> قال القرطبي في تفسيره: ( أي ألن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم. وأصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ، فجعل ذلك وصفا لتقريب الإنسان أتباعه. ويقال: فلان خافض الجناح، أي وقور ساكن. والجناحان من ابن آدم جانبا، ومنه " واضمم يدك إلى جناحك " وجناح الطائر يده. وقال الشاعر:

وحسبك فتية لزعيم قوم \*\*\*  
يمد على أخي سقم جناحا ( أي تواضعا ولينا )<sup>(٢)</sup>

#### ٤) إظهار مشاعر الرحمة والشفقة:

إن قلب الداعية إلى الله، قلب مفعم بالرحمة والمحبة، وفي علاقاته مع المجتمع حوله، يجب أن يكون هذا خلقه، وعليه أن يتصف بالرحمة والمحبة، ويتطبع بهذا الخلق، إن لم يتخلق به، وزاده في ذلك أخلاق المصطفى ﷺ وآيات القرآن الكريم وما فيه من قصص كثيرة في هذا الباب، قال الله تعالى: ( وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ )<sup>(٣)</sup> وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرُوسَى فَرِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ )<sup>(٤)</sup> وهنا ندرك أن الإيمان من دلائله الصبر والثبات، وأن القلب إذا أحب قد يفرغ من الدنيا عدا محبوه، قال ابن كثير في تفسيره: ( يقول تعالى مخبراً عن فؤاد أم موسى، حين ذهب ولدها في البحر، إنه أصبح فارغاً، أي: من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى )<sup>(٥)</sup> فمن أخلاق الداعية إلى الله أن يمازح الصغار ويمسح على رؤوسهم ويقبلهم ويهدي لهم، ويؤثر اليتامى والمساكين بالعطف والمحبة، عن عبد الله بن جعفر، قال: كنت أنا وقثم وعبيد الله نلعب فجاء النبي فقال: احمل هذا ثم قال: احمل هذا فحمل قثم خلفه ولم يستحي من عمه العباس، وكان عبيد الله أحب إلى العباس من قثم ومسح رأسه ثلاث مرار وقال: اللهم اخلف جعفرًا في ولده قلت: ما فعل قثم قال: استشهد قلت: الله ورسوله كان أعلم بالخيرة، قال: أجل.<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الحجر : ٨٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ، ج ١٠، ص: ٥٧.

(٣) سورة القصص : ٩ - ١٠ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص: ٢٢٣.

(٥) انظر: السنن الكبرى للنسائي - كتاب عمل اليوم والليلة - باب ما يقول للخائف، رقم الحديث : ١٠٨٣٨ (٣٩١/٩) وانظر : مسند الإمام أحمد - مسند أهل البيت ، حديث رقم : ١٧٦٠ (٢٨٤/٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده حسن

ومن مظاهر الرحمة في حياة الداعية وعلاقاته أن يداعب الأطفال ويحملهم معه ولا يحتقر نفسه في مرافقتهم له، بل إن الرأفة في خلقه تتعدى إلى غير الإنس في رفع القسوة عن الحيوان وزرع الرحمة في النفوس والحفاظ على ستر العورات، وكل ذلك من سنن إمام الدعاة نبينا محمد ﷺ، عن عبد الله بن جعفر ﷺ، قال: «أرَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أَحَدٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ تَخَلَّى. قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِّنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتَى مِّنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَأَ إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْنِبُهُ»<sup>(١)</sup>.

### ٥) إظهار علامات المحبة وإثارتها:

إن الداعية إلى الله، يجب عليه البيان الكامل لدعوته، بتوضيح الأهداف منها؛ كي يستبين للناس أصل الدعوة والمقصد منها، ومن ذلك بيان غاية الداعية الذاتية، وهي محبة الخير لهم والأجر من الله له، وأن يذكر ذوي القربى بحق القرابة بينهم، فهو أدعى لاستجابتهم، وأماناً من وقوفهم ضد دعوته والصد لها، قال الله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّرَدَّ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ<sup>(٢)</sup> قال ابن كثير في تفسيره: (أي: قل يا محمد هؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالة ربي، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة)<sup>(٣)</sup> وحيث المودة والمحبة عليها مجمع القلوب، وبها يفرح المسلم سواء كانت مودة القرابة أو محبة الأخوة، فإن السنة الإخبار بها، عَنِ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبَ ﷺ - وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»<sup>(٤)</sup>. ومما يدرك به حقيقة المحبة أنها تقوم على معنى يشعر به الحب والحبوب، وهو المقياس الحقيقي لها، وهذا الشعور يفوق المقاييس المادية من المال وغيره، وإن كانت هذه المقاييس وسيلة لتحقيق المحبة عند بعض الناس من الهدايا والهبات وغيرها. ونستنبط هذا المعنى من هذا الحديث في الموقف النبوي الكريم، عن سعد رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً - وسعد جالس - فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليّ. فقلت: يا

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، حديث رقم: ٢٥٥١ (٢/٣٢٨)، وانظر مسند الإمام أحمد - مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حديث رقم: ١٧٤٥ (٣/٢٧٣). صححه الألباني. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ١٩٩.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب إخبار الرجل أخاه بمحبته إياه، حديث رقم: ٥١٢٦ (٤/٤٩٥).

رسول الله ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً. فقال: أو مسلماً. فسكت قليلاً. ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالي فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً فقال: أو مسلماً. ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالي، وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: يا سعد، إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار»<sup>(١)</sup>.

ونستنبط من هذا الحديث حكمة الداعية في علاقاته مع المدعويين، ومعرفة أحوالهم ومدى صلتهم بالإسلام. من حداثة العهد وقدمه، وظاهر حالهم من التمسك به وأحكامه؛ مما يدل على قوة الإيمان أو ضعفه، قال ابن بطال في شرحه: ( قول النبي ﷺ: " إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه " فإن هذا يدل على أن النبي ﷺ وكله إلى إيمانه كما كان يعطي المؤلفه قلوبهم ويمنع المهاجرين والأنصار )<sup>(٢)</sup> وبهذه المعرفة يتعامل الداعية بحكمة مع المدعويين في الأخذ والعطاء والقول والفعل، وعليه حينما يسأله أهل الفضل والعلم عن معاملته لأناس دون آخرين بنوع ما من المعاملة، وفي سؤاها غرابة المقارنة والتمييز في المفاضلة، وجب عليه أن يبين أن الحب للجميع، ويتفاضل الناس في القلوب، أناس على آخرين. كما بين النبي ﷺ لسعد ﷺ وجه العطاء النبوي في الحديث أنه ليس من باب التفضيل في الحب، ولكنه من باب تأليف القلوب لمسلمين جدد، من أجل أن يشتروا على الدين ويزداد إيمانهم بمشيئة الله، وهي حاجز لهم من الردة إلى الكفر أو الانغماس في المعاصي وهم بهذا عرضة لخطر ولوج النار والداعية إلى الله هو حاجب لهم. وهنا موقف من السنة في سيرة المصطفى ﷺ مع صحابي من الراسخين في الإسلام، نستلهم منه قوة العلاقة بين الداعية والمدعويين، وكيف أصبحت في وقت الشدة أقوى في الحب والإيثار، عن إياس بن سلمة: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً. وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لَا تُرْوِيهَا. قَالَ: فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيَّ جَبًا<sup>(٣)</sup> الرِّكِيَّةَ<sup>(٤)</sup>، فِيمَا دَعَا وَإِمَّا بَسَقَ فِيهَا. قَالَ: فَجَاشَتْ، فَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ. قَالَ: فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ. ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ النَّاسِ قَالَ: «بَايِعْ، يَا سَلَمَةُ!» قَالَ قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ. يَا رَسُولَ اللَّهِ! فِي أَوَّلِ النَّاسِ. قَالَ:

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الإيمان- باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، حديث رقم: ٢٧ (١٤/١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإيمان- باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع، حديث رقم: ٣٩٥ (١/٩١).

(٢) فتح الباري، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الدمام: دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٢هـ، ج ١، ص: ١٢١.

(٣) الاجتباءُ اِفْتِعَالٌ من الجبابة وهو استخراج الأموال من مظانها، والجبوة والجبوة والجبا والجبا والجباوة ما جمعت في الحوض من الماء، والجبا والجبا ما حول البئر، والجبا ما حول الحوض يكتب بالألف، وفي حديث الحديبية فقعد رسول الله ﷺ على جباها فسقينا واستقينا، الجبا بالفتح، والقصر ما حول البئر، والجبا بالكسر، مقصور ما جمعت فيه من الماء، والجبا بالكسر، مقصور الماء المجموع للابل. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٣٣/١٤)

(٤) الرِّكِيَّةُ جنسٌ للرِّكِيَّةِ وهي البئر، انظر: لسان العرب لابن منظور (١٢٨/١٤).



«وَأَيْضاً» قَالَ: وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ عَزَلًا (يَعْنِي لَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ). قَالَ: فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ حَجَفَةً أَوْ دَرَقَةً، ثُمَّ بَايَعَ. حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُنِي؟ يَا سَلَمَةُ» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! فِي أَوَّلِ النَّاسِ، وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ. قَالَ: «وَأَيْضاً» قَالَ: فَبَايَعْتُهُ الثَّالِثَةَ. ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا سَلَمَةُ أَيْنَ حَجَفَتُكَ أَوْ دَرَقَتُكَ»<sup>(١)</sup> أَلَيْسَ أُعْطَيْتُكَ؟ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقِينِي عَمِّي عَامِرٌ عَزَلًا. فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا. قَالَ: فَصَحَّحَكَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ: «إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ: اللَّهُمَّ أَبْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي». ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَأَسَلُونَا الصُّلْحَ، حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ. وَاصْطَلَحْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ تَبِيعًا لَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ. أَسْقَى فَرَسَهُ، وَأَحْسَهُ، وَأَخْدَمَهُ. وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِ. وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي، مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ: فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، أَتَيْتُ شَجَرَةَ فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا. فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا. قَالَ: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ. فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ. فَأَبْغَضْتُهُمْ. فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى. وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ. وَاضْطَجَعُوا. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٌ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ<sup>(٢)</sup>. قَالَ: فَاخْتَرْتُ سَيْفِي. ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أَوْلَتِكَ الْأَرْبَعَةَ وَهُمْ رُقُودٌ. فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ. فَجَعَلْتُهُ ضَغْثًا<sup>(٣)</sup> فِي يَدِي. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ. قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسْوَفَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ: وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ يُقَالُ لَهُ مَكْرَزٌ. يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ. عَلَى فَرَسٍ مُجَقَّفٍ. فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: «دَعُوهُمْ. يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَثَنَاهُ» فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ<sup>(٤)</sup> الْآيَةَ كُلَّهَا. وَيُوكَدُ النَّبِيُّ ﷺ الْبَيْعَةَ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ﷺ ثَلَاثًا فِي مَوْقِفِ الْحَدِيدِيَّةِ الْعَصِيبِ، مَحَبَّةً لَهُ وَتَأْصِيلًا لِرَفْعِ هِمَّتِهِ وَإِقَاطًا لَشَجَاعَتِهِ الْمَعْهُودَةِ عَنْهُ، وَيُعْطِيهِ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْقِتَالِ، وَبِهِ وَأَمْثَالُهُ يَكُونُ الْاسْتِنْهَاضُ لِبَقِيَّةِ الْمُبَايِعِينَ، بَلْ يَضَاحِكُهُ ﷺ عِنْدَمَا آثَرَ عَمَهُ بِسِلَاحِهِ مَذْكَرًا لَهُ وَحَامِدًا صَنِيعَهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ: اللَّهُمَّ أَبْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي» وهذا الإيثار قوة في العلاقات ويحمد في موقف الشدة والحرب لما له من صبغة معنوية تقوم على المحبة يزداد بها المجتمع المسلم قوة في التماسك.

(١) ( درق ) الدَّرَقُ ضرب من التَّرْسَةِ الواحدة دَرَقَةٌ، تتخذ من الجلود. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩٥/١٠).

(٢) قوله: قتل ابن زنيم، ما تحفظ من الصحابة من يقال له ابن زنيم غير شخصين، سارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر وهو السدي قال عمر: يا سارية الجبل، وأخوه أنس بن زنيم. انظر: شرح المشكل من الصحيحين لابن الجوزي (٤٩٢/١).

(٣) (ضغث) الضاد والغين والفاء أصل واحد يدل على التباس الشيء بعضه ببعض. يقال للحالم: أَضْغَثَ الرُّؤْيَا. والأضغاث: الأحلام المتلبسة. والضَّغْثُ: قُبْضَةٌ مِنْ قُضْبَانٍ أَوْ حَشِيشٍ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٦٣/٣).

(٤) سورة الفتح: ٢٤ .

## ٦) التيسير والكرم:

إن السفر والبعد عن الدار والأهل، مؤثر نفسي قوي على الإنسان، ومتى أدرك الإنسان غايته من السفر؛ أصبحت نفسه في شوق ولهفة بالعودة إلى أهله ومستقره، ومن حكم الإسلام الإسراع في الخيرات. والنهي عن الشر أو ما قد يحدثه، والبقاء في غير مكان الأهل والمال والولد، مظنة الشر ظاهرة فيه؛ فيجب على المسلم أن يدرأ ذلك عن نفسه، وكذلك عليه أن يتق العجلة في الأمور؛ لأن باطنها اليسر، وفي حقيقتها العسر، ومغبتها الندم ، قال الله تعالى: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) <sup>(١)</sup> والعجلة صفة فطرية في الإنسان، ووجب عليه أن يضبطها بالضابط الشرعي حيال أمور الحياة، ومنها السفر وما فيه من أحكام الشرع، فقد نُهي عن طروق المسافر أهله ليلاً <sup>(٢)</sup>، فإن قرب المسافر من دياره، يجعله في محبة للقاء الأهل وطلب الراحة من عناء السفر، ومن حكمة الداعية إلى الله في علاقاته مع رفقة السفر أن يدرك هذه المشاعر ويسهل لهم تحقيق المراد، فمن أقوال ﷺ لبعض أصحابه في بعض أسفاره: ( مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَعَجَّلَ إِلَى أَهْلِهِ فَلْيُعَجِّلْ )، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: سافرتُ معه في بعض أسفاره، فلما أن أقبلنا، قال النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَعَجَّلَ إِلَى أَهْلِهِ فَلْيُعَجِّلْ». قال جابر: فأقبلنا وأنا على جملٍ لي أرمك <sup>(٣)</sup>، ليس فيها شية <sup>(٤)</sup>، والناس خلفي، فبينما أنا كذلك، إذ قام عليّ، فقال لي النبي ﷺ: «يا جابرُ استمسك» فضربه بسوطه ضربةً فوثبَ البعيرُ مكانه، فقال: «أتبيعُ الجملَ؟» قلتُ: نعم، فلما قدمنا المدينة ودخلَ النبي ﷺ المسجدَ في طوائفِ أصحابه، فدخلتُ إليه، وعقلتُ الجملَ في ناحيةِ البلاطِ، فقلتُ له: هذا جملُك فخرج فجعلَ يُطيفُ بالجملِ ويقول: «الجملُ جملُنَا». فبعثَ النبي ﷺ أواقٍ من ذهبٍ، فقال: «أعطوها جابراً». ثم

(١) سورة الإسراء: ١١.

(٢) النهي عن قدوم المسافر على أهله ليلاً قيده العلماء بمن طال سفره ومن لم يشع قدومه ، وذلك لمصالح عديدة تمثل علة النهي ، و علة النهي قد توجد في النص ويدور عليها الحكم؛ فالحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا، فلما كان الذي يخرج حاجته مثلاً نهاراً ويرجع ليلاً لا يتأتى له ما يحذر من الذي يطيل الغيبة ، فيقع الذي يهجم بعد طول الغيبة غالباً ما يكره أما أن يجد أهله على غير أهية من التنظيف والتزيين المطلوب من المرأة ؛ فيكون ذلك سبب النفرة بينهما وأما أن يجدها على حالة غير مرضية والشرع محرض على السترة. وأما إذا شاع خبر قدوم المسافرين كأن كان في قفل ووصلوا لقرب البلد نهاراً وعلم ذلك الخبر لأهل البلد فلا بأس بالقدوم ليلاً حينئذ ، والقدوم نهاراً أفضل لما فيه من حسن الهواء، وزيادة الأضواء وخروج الناس للاجتماع واللقاء، وللتباعد ونحوه، فإذا قدم بدأ بالمسجد قبل دخول منزله اهتماماً به، وتعظيماً لشعائر الله تعالى، وتقديماً لحق الله تعالى على حق نفسه وأهله، وشكراً لنعمته عليه بسلامته من وعناء السفر (فيصلي فيه ركعتين) تحية ثم يجلس فيه ليسلم عليه الناس.

(٣) (رمك) الرء والميم والكاف أصلان: أحدهما لونٌ من الألوان، والثاني بُثٌّ بمكان. فالأول الرُمكة من ألوان الإبل، وهو أشدُّ كدرةً من الوُرقة. ويقال جملٌ أرمك. ومنه اشتقاق الرامك. والرمكة: الأنثى من البراذين. والأصل الآخر: رَمَكَ بالمكان، وهو رامك. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٢٠٤).

(٤) الوَشْيُ من الثياب معروف والجمع وِشَاء، وَشْي التَّمَارِقِ يعني جميع ألوان الوَشْي، والوَشْيُ في اللون خَلْطُ لَوْنٍ بلون، الشَّيْءُ كُلُّ ما خَالَفَ اللَّوْنَ من جميع الجسد وفي جميع الدواب، وقيل شَيْءُ الفرس لونه وفرس حَسَنُ الْأَشْيَاءِ أي الغُرَّة والتحجيل. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٩٢/١٥).

قال: استوفيت الثمن؟ قلت: نعم، قال: الثمن والجمل لك»<sup>(١)</sup>. وجابر رضي الله عنه قد فقد والده شهيدا في غزوة أحد وترك بناتا ودينا، والنبي ﷺ يدرك حاجة جابر للجمل والمال، وكان خلقه ﷺ القرآن، فيجازيه جزاء الإحسان بالإحسان، قال الله تعالى: ( هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ )<sup>(٢)</sup> وقد كان ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ويده يد سخاء. ومن خلق الدعاة إلى الله الكرم والإحسان. أورد ابن حجر في الفتح: ( قال ابن الجوزي: هذا من أحسن التكرم لأن من باع شيئا فهو في الغالب محتاج لثمنه فإذا تعرض من الثمن بقي في قلبه من المبيع أسف على فراقه كما قيل: ( وقد تخرج الحاجات يا أم مالك \*\* نفائس من رب بمن ضنين )، فإذا رد عليه المبيع مع ثمنه ذهب المهم عنه وثبت فرحه وقضيت حاجته فكيف مع ما انضم إلى ذلك من الزيادة في الثمن )<sup>(٣)</sup>

#### ٧) المشاركة الاجتماعية والشهادة بالخير:

الاجتماع المسلم يسوده الخير في عمومته، بعبادة الله تعالى وإقامة شرعه، وفناء الناس فيه على خير ما تمسكوا بكتاب الله وسنة النبي ﷺ، ومن خيرهم نشر العدل وكف الظلم بأداء الحقوق والواجبات، والداعية إلى الله عضو فاعل في المجتمع من أجل تحقيق هذه الغاية العظيمة، وقد أثنى النبي ﷺ على حلف المطيعين الذي شهدته في صغره قبل البعثة، وأكد حبه له لما فيه من الخير، عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « شهدت حلف المطيعين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حُمْر النعم وأني أنكته ». قال الزهري<sup>(٤)</sup>: قال رسول الله ﷺ: « لم يصب الإسلام حلفاً إلا زاده شدة، ولا حلف في الإسلام، وقد ألف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار »<sup>(٥)</sup>. وعلق ابن القيم يرحمه الله على الحلف في العلاقات الإسلامية، كما ورد في تمذييه لسنن أبي داود بقوله: ( فَالظَّاهِر - وَاللَّهِ أَغْلَمُ - أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَدِيثِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَلَّفَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْإِسْلَامِ وَجَعَلَهُمْ بِهِ إِخْوَةً مُتَنَاصِرِينَ مُتَعَاصِدِينَ يَدًا وَاحِدَةً، بِمَنْزِلَةِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، فَقَدْ أَغْنَاهُمْ بِالْإِسْلَامِ عَنِ الْحَلْفِ، بَلْ الَّذِي تَوَجَّهَ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ لِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ: أَغْظَمَ مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْحَلْفُ. فَالْحَلْفُ إِنْ اقْتَضَى شَيْئاً يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ اقْتَضَى مَا يَقْتَضِيهِ الْإِسْلَامُ فَلَا تَأْثِيرَ لَهُ، فَلَا فَائِدَةَ فِيهِ. وَإِذَا كَانَ قَدْ وَقَعَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامَ بِمُقْتَضَاهُ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً وَتَأْكِيداً وَأَمَّا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ " شَهِدْتُ حَلْفًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرُ النَّعَمِ، لَوْ دُعِيتُ إِلَى مِثْلِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ " فَهَذَا -

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الجهاد- باب من ضرب دابة غيره في الغزو، حديث رقم: ٢٨٦١ (٤/٣٠).

(٢) سورة الرحمن: ٦٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ٥، ص: ٣١٧.

(٤) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة - حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، حديث رقم: ١٦٥٦ (٣/١٩٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ - هُوَ حَلْفُ الْمُطِيبِينَ، حَيْثُ تَحَالَفَتْ قُرَيْشٌ عَلَى نَصْرِ الْمُظْلُومِ، وَكَفَّ الظَّالِمَ وَنَحَوَهُ، فَهَذَا إِذَا وَقَعَ فِي الْإِسْلَامِ كَانَ تَأْكِيدًا لِمُوجِبِ الْإِسْلَامِ وَتَقْوِيَةً لَهُ. وَأَمَّا الْحَلْفُ الَّذِي أَبْطَلَهُ فَهُوَ تَحَالَفُ الْقَبَائِلِ: بِأَنْ يَقُومَ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ وَيَعْضُدُهُ وَيُحَارِبُ مَنْ حَارِبَهُ، وَيُسَالِمُ مَنْ سَالَمَهُ. فَهَذَا لَا يُعْقَدُ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَا كَانَ مِنْهُ قَدْ وَقَعَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يُؤَكِّدُهُ وَيَشْدُدُهُ، إِذَا صَارَ مُوجِبُهُ فِي الْإِسْلَامِ التَّنَاصُرَ وَالتَّعَاصُدَ وَالتَّسَاعُدَ عَلَى إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَتَأْلِيفِ الْكَلِمَةِ، وَجَمْعِ الشَّمْلِ<sup>(١)</sup> وهذا الأصل العظيم الذي أكده الإمام ابن القيم هو ما يجب على الداعية إلى الله تأصيله في المجتمع المسلم، ويستلزم منه المشاركة الاجتماعية في كل خير، وأن يحذر من المشاركة الاجتماعية في الأمور التي تبني على مخالفة الدين أو تخل بالمرءة إلا على سبيل النصيحة. ولا شك أن الاجتماع على الخير في المجتمع يورث الحبة والصلة بين أفرادِهِ، وكلما انتشر الخير وسادت المودة بين المسلمين كان لها الأثر على مستقبلهم في الآخرة، حيث أن الشهادة بالخير أو الشر محل اعتبار في الشرع لقول الرسول ﷺ: ( أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ) عَنْ أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: ( مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَتْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَجِبَتْ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَتْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجِبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَا وَجِبَتْ؟ قَالَ هَذَا أَتْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَتْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجِبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ<sup>(٢)</sup>. الشهادة بالحق هي المنهج الصحيح، والسلوك المستقيم في تفعيل العدل في المجتمع، وكتمان الشهادة مذموم في الشرع، قال الله تعالى: ( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ )<sup>(٣)</sup> ولأهمية شهادة الناس على بعضهم البعض، يعتبر الأخذ بشهادة الواحد في بعض مقاصد الدين، ومنها خيرية الإنسان في الحياة، وبها أكد عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الأمر وجعله أحب إليه من حمر النعم فيما رواه الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الله بن بريدة قال: « جلس عمر رضي الله عنه مجلساً كان رسول الله ﷺ يجلسه تمر عليه الجنائز، قال: فمرُّوا بجنازة فأتنوا خيراً فقال: وجبت، ثم مرُّوا بجنازة فأتنوا خيراً فقال: وجبت، ثم مرُّوا بجنازة فقالوا خيراً فقال: وجبت، ثم مرُّوا بجنازة فقالوا: هذا كان أكذب الناس فقال: إن أكذب الناس أكذبهم على الله ثم الذين يلونهم من كذب على روحه في جسده، قال: قالوا: أرايت إذا شهد أربعة، قال: وجبت، قالوا: أو ثلاثة؟ قال: وثلاثة، قال: وجبت قالوا: واثنين؟ قال: وجبت، ولأن أكون قلت واحد أحب إلي من حُمُر النعم، قال: فقليل لعمر هذا شيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: لا بل سمعته من رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup> ».

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٥ هـ. ج ٨، ص: ١٠٠ - ١٠١.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الجنائز- باب ثناء الناس على الميت، حديث رقم: ١٣٦٧ (٢/ ٩٧).

(٣) سورة البقرة: ١٤٠.

(٤) انظر: مسند أحمد بن حنبل - مسند عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٣٨٩ (١/ ٤٤٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح.

## ٨) إحقاق الحق لأهله:

إن الله أمر بالعدل والإحسان في الأمور كلها، وجرت بذلك شريعة الإسلام في الأحكام، قال الله تعالى: ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا )<sup>(١)</sup>، وقال الله عز وجل في سورة النساء: ( وَالْقِسْطَ وَإِحقاق الحق لأهله : ( يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوثُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شَهَدَاءُ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا )<sup>(٢)</sup>، ويجب على الداعية إلى الله في علاقاته الاجتماعية، أن يحكم العدل في مشكلات الحياة التي قد تواجهه شخصه، أو تكون بين الناس ويكون فيها حكما أو شاهدا، وذلك لأن العدل من التقوى ومن هداية العمل، وإنما الجور واتباع الهوى من ضلالة العمل، والله لا يحب ضلالة العمل، وهنا موقف نبوي كريم يؤكد هذا المعنى ويدعو إليه. عن الزُّبَيْدِ رضي الله عنه، يَقُولُ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا إِلَى بَنِي الْعَبْرِ فَأَخَذُوهُمْ بِرُكْبَةٍ مِنْ نَاحِيَةِ الطَّائِفِ، فَاسْتَأْذَنُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَرَكِبْتُ فَسَبَقْتُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَتَانَا جُنْدُكَ فَأَخَذُونَا وَقَدْ كُنَّا أَسْلَمْنَا وَخَضَرْنَا آذَانَ النَّعَمِ، فَلَمَّا قَدِمَ بَلْعَبَرُ، قَالَ لِي نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ هَلْ لَكُمْ بَيِّنَةٌ عَلَى أَنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ قَبْلَ أَنْ تُؤْخَذُوا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَنْ بَيِّنَتُكَ؟ قُلْتُ سَمَرَةٌ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْعَبْرِ وَرَجُلٌ آخَرُ سَمَاءُ لَهُ، فَشَهِدَ الرَّجُلُ وَأَبَى سَمَرَةٌ أَنْ يَشْهَدَ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَبَى أَنْ يَشْهَدَ لَكَ فَتَحْلِفُ مَعَ شَاهِدِكَ الْآخَرَ، فَقُلْتُ نَعَمْ فَاسْتَحْلَفَنِي فَحَلَفْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَسْلَمْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَخَضَرْنَا آذَانَ النَّعَمِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: اذْهَبُوا فَقَاسِمُوهُمْ أَنْصَافَ الْأَمْوَالِ وَلَا تَمْسُوا ذُرَارِيَهُمْ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ ضَلَالَةَ الْعَمَلِ مَا رَزَيْنَاكُمْ<sup>(٣)</sup> عَقَالًا: قَالَ الزُّبَيْدُ: فَدَعَنْتِي أُمِّي فَقَالَتْ: هَذَا الرَّجُلُ أَخَذَ زُرِّيَّتِي فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - يَعْنِي فَأَخْبَرْتُهُ - فَقَالَ لِي احْبِسْهُ، فَأَخَذْتُ بِتَلْبِيهِ وَقُمْتُ مَعَهُ مَكَانًا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَاقْتَمَنَ فَقَالَ: مَا تُرِيدُ بِأَسِيرِكَ؟ فَأَرْسَلْتُهُ مِنْ يَدَيَّ، فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِلرَّجُلِ: رُدَّ عَلَى هَذَا زُرِّيَّةَ أُمِّهِ الَّتِي أَخَذْتَ مِنْهَا، قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ يَدَيَّ، قَالَ: فَاخْتَلَعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سَيْفَ الرَّجُلِ فَأَعْطَانِيهِ فَقَالَ لِلرَّجُلِ: اذْهَبْ فَرِزْهُ طَعَامٍ مِنْ لَعَامٍ، قَالَ فَرَاذَنِي آصُعًا مِنْ شَعِيرٍ<sup>(٤)</sup>». وكما تقرر من هذا الموقف مبدأ العدل القائم على البينة أو الشهادة في العلاقات. فقد تقرر أيضا مبدأ العوض المكافئ أو المرضي. وفي قوله ( لولا أن الله لا يحب ضلالة العمل )

(١) سورة المائدة: ٤٨.

(٢) سورة النساء: ١٣٥.

(٣) (رزأ) الرءاء والزءاء والهمزة أصل واحد يدل على إصابة الشيء والذهاب به. ما رزأته شيئا، أي لم أصب منه خيرا. والرءاء: المصيبة، والجمع الأرزاء. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٢٩٠). والمعنى في الحديث: لم نقصكم شيئا من حقكم ولو عقالا.

(٤) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأفضية - باب القضاء باليمين والشاهد، حديث رقم: ٣٦١٤ (٣/٣٤٣).

قال أبو الطيب في عون المعبود: ( أَيُّ بُطْلَانِهِ وَضِيَّاعِهِ وَذَهَابِ نَفْعِهِ، يُقَالُ ضَلَّ اللَّبَنُ فِي الْمَاءِ إِذَا بَطَلَ وَتَلَفَ )<sup>(١)</sup> فلم يُرد الرسول ﷺ أن يضيع عمل الجيش ويُذهب به، والمقصد هنا أن نعلم أن الجهد المبذول يجب المحافظة على نتائجه، وتسديد الحقوق لأصحابها واجب حتم، وعدم الانتقاص فيها لأحد، بل يجب السعي بالوفاء والعوض لمن ثبت ضياع حقه. والداعية إلى الله يجب عليه أن يدرك هذا في علاقاته أن الله لا يحب ضلالة العمل. ويجب العدل والقسط.

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة

السلفية، ط ٢، ١٣٨٨هـ، ج ١٠، ص: ٣٧.

## المبحث الثاني: أثر المحبة في المدعو

### المطلب الأول: طلب الهداية

إن محبة الإنسان لنفسه وجلب الخير لها، محور في طلب الهداية، ومتى ارتبطت بالبحث عن الحق؛ سيصل الإنسان إلى معرفة علة خلقه، والإيمان بالخالق جل وعلا، ويصل إلى الغاية العظمى من الوجود، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، على الوجه الصحيح؛ إيماناً بالله وبالوحي والرسالة، والحق الذي جاءت به الرسل، وكما قال السيوطي: ( إنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيماناً وتصديقاً، وما لم نعقله قبلناه تسليماً واستسلاماً، وهذا معنى القائل من أهل السنة: إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم )<sup>(١)</sup> وعلى المسلم أن يتعامل مع الدنيا كتراد ليوم المعاد، والإنسان في هذه المرحلة على اعتبارات الإسلام الكثيرة، إما أن يكون داعياً أو مدعواً، أو جامعاً لهما. والمحبة أس في الأثر والتأثير، وتظهر في حق المدعو من وجهين:

أولاً: محبة الحق ولزوم سبل الهداية؛ وبحث النفس على الاستجابة لها وترك الغواية، وأعظم السبل لهداية النفس هو اتباع رسالات الرسل. قال الله تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦١﴾ وَخَيَّنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ )<sup>(٢)</sup> قال البغوي في تفسيره: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} دعوناهم، قاله مجاهد، وقال ابن عباس: بينا لهم سبيل الهدى. وقيل: دللناهم على الخير والشر، كقوله: "هديناه السبيل" (الإنسان: ٣)، {فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ} فاختاروا الكفر على الإيمان<sup>(٣)</sup>، وكل رسالات الأنبياء، ربانية المصدر، تتفق في الدعوة إلى التوحيد من أطراف النجاة، وتدعو إلى الخير وتحذر من الشر؛ وهذا من أطراف السعادة في الدنيا والآخرة.

ثانياً: محبة النفس وجلب الخير لها وإنقاذها من الشر والضلالة. والمواقف في الكتاب والسنة الدالة على هذا كثيرة، حيث محبة النفس وحماتها أمر فطري وعقلي عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشرٍّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قومٌ يهدونَ بغير هديي، تعرفُ منهم وتُنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: نعم، دُعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن

(١) صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام، جلال الدين أبو بكر عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: علي سامي النشار. ص: ١٨٢ -

١٨٣.

(٢) سورة فصلت: ١٧ - ١٨.

(٣) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٧،

ص: ١٦٩.

أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»<sup>(١)</sup>.

وحاولت أن استخلص من هذه المواقف المذكورة في الكتاب والسنة بلفظ الحب، بعض القواعد التي يجب على المدعو أن ينبه لها، في طلب الهداية، لما لها من دلالة وارتباط وثيق كمؤثر في شخصية المدعو وطلبه للحق والهداية، ومن هذه القواعد ما يلي:

#### (١) البحث عن الهداية والتثبت من الحقيقة:

قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه من أكثر المواقف ضرباً للمثل في البحث عن الحقيقة والسعي في طلب الهداية، لما فيها من الدروس العظيمة، والصفات الرابطة بين المدعو والداعية وسأعرضها كما وردت في السنة وأرسم خطوطاً واضحة بعدها في طلب المدعو للهداية وما يلزمه تجاه ذلك، وفق ما جاء بلفظ الحب في القصة، عن عبد الله بن عباس قال: حدثني سلمان الفارسي حديثه من فيه قال: «كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان»<sup>(٢)</sup>، من أهل قرية منها يقال: لها جي، وكان أبي دهقان<sup>(٣)</sup> قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته أي ملازم النار كما تحبس الجارية، وأجهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة، قال: فشغل في بنيان له يوماً، فقال لي: يا بني، إني قد شغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فأطلعها وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعتي، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، كنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، قال: فلما رأيتهم أعجبني صلاتهم ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام، قال: ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، قال: فلما جئتته

(١) انظر: صحيح البخاري-كتاب الفتن-باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، حديث رقم: ٧٨٤٠ (٩/٥١). وانظر: صحيح مسلم-كتاب الإمامة-باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، حديث رقم: ٤٨٩٠ (٦/٢٠).

(٢) أصبهان: منهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر وكسرها آخرون، وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف، وأصبهان اسم للإقليم بأسره وكانت مدينتها أولاً (جيا) ثم صارت اليهودية. قال ابن الكلبي: سميت بأصبهان بن فلوج بن سام بن نوح عليه السلام، قال ابن دريد: أصبهان اسم مركب؛ لأن الأصب البلد بلسان الفرس، وهان اسم الفارس، فكأنه يقال: بلاد الفرسان، وقيل: أن الأصب بلغة الفرس هو الفرس وهان كأنه دليل الجمع، فمعناه الفرسان والأصبهاني الفارس، وقيل غير ذلك، وهي من بلاد فارس وكانت مدينة أصبهان بالموضع المعروف (بجي) وهو الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة فلما سار بخت نصر وأخذ بيت المقدس وسبى أهلها حمل معه يهودها، وأنزلهم أصبهان، فبنوا لهم في طرف مدينة (جي) محلة ونزلوها وسميت اليهودية، ومضت على ذلك الأيام والأعوام فخربت (جي) وما بقي منها إلا القليل. وعمرت اليهودية فمدينة أصبهان اليوم هي اليهودية، وقد خرج من أصبهان من العلماء والأئمة في كل فن، وأما فتحها فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ١٩ للهجرة المباركة بعد فتح نهاوند بعث عبد الله بن عبد الله بن عتبان إليها وفتحها، وصالح أهلها على الجزية. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٢٠٧).

(٣) والدهقان والدهقان: التاجر، فارسي معرب. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٠/١٠٦).



قال: أي بني، أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ! قال: قلت: يا أبت، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأييت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، قال: قلت: كلا والله، إنه خير من ديننا قال: فخافني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته، قال: وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكَبٌ مِنَ الشَّامِ تَجَارَ مِنَ النَّصَارَى، فَقَدِمُوا عَلَيْهِمْ رَكَبٌ مِنَ الشَّامِ تَجَارَ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَادْزُونِي بِهِمْ، فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلِي، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلُ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: الْأَسْقَفُ فِي الْكَنِيسَةِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدَمَكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ، وَأَصْلِي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلٌ سَوْءٌ، يَأْمُرُهُمُ بِالصَّدَقَةِ وَيَرْغِبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرَقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بَغْضاً شَدِيداً لَمَّا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعْتُ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلٌ سَوْءٌ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيَرْغِبُكُمْ فِيهَا، فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِمَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئاً، قَالُوا: وَمَا عَلِمَكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَدْلَكُمْ عَلَى كِتْرِهِ، قَالُوا: فَدَلَّنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَباً وَوَرَقاً، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَداً، فَصَلَبُوهُ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاؤُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّيُ الْخُمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا أَدَابَ لِيلاً وَنَهَاراً مِنْهُ، قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أَحِبَّهُ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَاناً، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ: يَا فُلَانُ: إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أَحِبَّهُ مِنْ قَبْلِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَإِلَى مَنْ تَوْصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي، قَالَ: أَيُّ بَنِي، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَلُوا وَتَرَكَوْا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالموصل، وَهُوَ فُلَانُ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقُّ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِبَ لَحَقْتُ بِصَاحِبِ المَوْصِلِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقُ بِكَ، وَأَخْبِرُنِي أَنْكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرُنِي بِاللَّحِقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تَوْصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي، قَالَ: أَيُّ بَنِي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بَنَصِييْن<sup>(١)</sup>، وَهُوَ فُلَانُ، فَالْحَقُّ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِبَ لَحَقْتُ بِصَاحِبِ نَصِييْنِ، فَجِئْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِي وَمَا أَمَرُنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقَمْتُ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِيهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثْتُ أَنْ نَزَلَ بِهِ المَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ فَإِلَى مَنْ تَوْصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيُّ

(١) نصيبين : نصيبين بالفتح ثم الكسر ثم ياء علامة الجمع الصحيح ومن العرب من يجعلها بمثلة الجمع فيعربها في الرفع بالواو وفي الجر والنصب بالياء والأكثر يقولون نصيبين ويجعلونها بمثلة ما لا ينصرف من الأسماء والنسبة إليها نصيب، وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان بينها وبين سنجار تسعة فراسخ. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢٨٨/٥).

بني، والله ما نعلم أحداً بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية<sup>(١)</sup>، فإنه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، قال: فإنه على أمرنا، قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري فقال: أقم عندي، فأقمت مع رجل على هدى أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فألى من توصي بي وما تأمري؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلل لك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل، قال: ثم مات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجاراً، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم، فأعطيتموها، وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من يهود عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة، فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة، فو الله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت بها بصفة صاحبي، فأقمت بها، وبعث الله رسوله، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فو الله، إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عم له، حتى وقف عليه، فقال فلان: قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن ليجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي، قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء<sup>(٢)</sup> حتى ظننت سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟! أقبل على عملك، قال: قلت: لا شيء إنما أردت أن أستثبت عما قال، وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء، ذووا حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئت به، فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرق، قال: وقد تبع جنازة من أصحابه، عليه شملتان له، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رأي رسول الله ﷺ استدرته عرف

(١) عمورية بفتح أوله وتشديد ثانيه بلد في بلاد الروم غزاها المعتصم الخليفة العباسي حين سمع استنجد شراة العلوية به، وكان ذلك في سنة ٣٢٢هـ، وقيل سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١٥٨/٤).

(٢) (عروي) العين والراء والحرف المعتل أصلان صحيحان متباينان يدل أحدهما على ثبات وملازمة وغشيان، والآخر يدل على خلوص ومفارقة. فالأول قولهم: عراه أمر، إذا غشيه وأصابه؛ وعراه البرد. ويقولون: "إذا طلع السمك، فعند ذلك يعرفوك ما غناك، من البرد الذي يغشاك". وعراه الهم واعتراه. والعرواء: قرّة تأخذ الحموم. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٩٥/٤).

إني أستثبت في شيء وصف لي، قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم، فعرفته، فانكبت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: تحوّل، فتحوّلت، فقصصت عليه حديثي كما حدّثتك يا ابن عباس، قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه، ثم وشغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان، فكاتبت صاحبي على ثلاث مئة نخلة أجيبها له بالفقير وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر، يعني الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاث مئة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان فقفر لها، فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي، فقمرت لها، وأعاني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته، فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقي علي المال، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فدعيت له، فقال: خذ هذه فأدّها ما عليك يا سلمان، فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله ﷺ مما علي؟ قال: خذها فإن الله عزّ وجلّ سيؤدّي بها عنك، قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها — والذي نفس سلمان بيده — أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعنتت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد<sup>(١)</sup>.

ومن الدروس الخاصة بأثر المحبة في المدعو من قصة سلمان الفارسي ما يلي:

(أ) حب الوالدين للولد فطري ويكون ممقوتا حينما يكون حاجزا أمام طلب الحق واتباعه، قال سلمان ؓ: ( وكان أبي دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته أي ملازم النار كما تحبس الجارية ) ولكن يجب على الولد في هذه الحال مصاحبة والديه بالمعروف، والبر بهما، وطاعتهما ما لم يأمرهما بالمعصية ومن أكبرها الشرك أو الكفر.

(ب) السعي في الأرض بحثا عن الهدى والحق، وعدم البقاء على حال الكفر والشرك؛ متى تيسرت سبل الهجرة إلى الله. ويتضح ذلك من هجر سلمان للمجوسية وعبادة النار، بالهجرة إلى بلاد الشام وملازمة الصالحين من أهل الدين وحبهم، يقول سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه، قال: فأحبيته حباً لم أحبه من قبله، وأقمت معه زمناً.

(ج) قبول نصيحة الناصحين من أهل الدين، والاستمرار في البحث عن الهدى والثبات عليه ( قال: أي بني، والله ما نعلم أحداً بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية، فإنه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته )

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٣٧٣٧ (١٤٠/٣٩). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند :

د) الثبوت من الحقيقة وعدم التسرع في الحكم: ( قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ) وهو ما فعله سلمان رضي الله عنه حين لقائه بالنبي ﷺ (قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم، فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: تحوّل، فتحوّلت، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه ) ولما للحق من قوة أعجب النبي ﷺ أن يسمع الصحابة خبر سلمان؛ لأنه يؤيد ما هم عليه من الحق، ويوافق ما يخبرهم الرسول به ويوثق مصداقية الرسالة، حيث كانت تمر بعداوة اليهود والمشركين والمرجفين والمشككين من المنافقين.

هـ) الصبر و التحمل في سبيل الهداية والبحث عن الحقيقة، ويتضح ذلك من معاناة سلمان رضي الله عنه في هجر الأهل ومغادرة الوطن، وترك الحال المنعم إلى شظف العيش وكبد التكسب، ومعاناة الرق وذله.

## ٢- ملازمة أهل العلم :

المصدر العلمي الأصيل والموثوق به، هو المشرب والمطلب لكل طالب هداية، ويجب أن نعلم أن هذا الدين لا يؤخذ إلا من مصدرين: هما كتاب الله العظيم والسنة النبوية الصحيحة بتفسير وفهم السلف الصالح من هذه الأمة، الممثل في العلماء الراسخين في العلم الصالحين. ومن الخطورة والضلال أخذ الدين ممن لا يعتمد على هذه الأصول والمصادر ولا يعتمد الدليل الشرعي؛ فمن خالف هذا المنهج فقد انحرف عن الطريق المستقيم ، والعاقبة للذين أساءوا السوء. ولقد جثا الصحابة بالركب، وأكبوا على حلقات العلم والهدى من النبي ﷺ ، ورسم الرعيل الأول من السلف هذا المنهج القويم لمن بعدهم في مواقف كثيرة منها: عن وابصة بن معبد رضي الله عنه <sup>(١)</sup> قال: «أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه، وإذا عنده، جمع فذهبت أخطي الناس فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ إليك يا وابصة فقلت: أنا وابصة دعوني أدنو منه فإنه من أحب الناس إليّ أن أدنو منه، فقال لي: إذن يا وابصة، إذن يا وابصة فدنوت منه حتى مست ركبتي ركبتة، فقال: يا وابصة أخبرك ما جئت تسألني عنه؟ أو تسألني؟ فقلت: يا رسول الله فأخبرني قال: جئت تسألني عن البر والإثم؟ قلت: نعم، فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري

(١) وابصة بن معبد بن مالك بن عبيد الأسدي من بني أسد بن خزيمه، يكنى أبا شداد ويقال أبا قرصافة، سكن الكوفة، ثم تحول إلى الرقة ومات بها، وله أحاديث عن النبي ﷺ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/٧٥٦).

ويقول: يا وابصة استفت نفسك البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس»<sup>(١)</sup>.

محبة وابصة ﷺ للعلم والاهتداء به، جعلته يأتي إلى النبي ﷺ ويسأل عن أمرين: أحدهما به النجاة والآخر به الهلاك، وهما البر والإثم، ولم يكتف في المجلس إلا بالدنو من النبي ﷺ حتى وضع ركبته إلى ركبته ﷺ وهذا من أدب المدعو مع الداعية والتواضع للعلم والعلماء ومحبتهم، ولهذا أعظم الأثر في بناء شخصية المدعو واتباعه للهدى وثباته على الحق، ونأخذ من هذا الموقف المعجزة النبوية في إخبار النبي ﷺ لو ابصة ما جاء يسأل عنه، وكيف أخذه برفق ولطف وحنو، وعمق المعنى في نفسه حيث نكت في صدره بأصابه الثالث ﷺ مؤكداً له مقر الجواب على سؤاله - النفس والقلب - بالإشارة والبيان القولي الواضح.

ومن أهم الأمور في طلب المدعو للعلم أن يبحث عنه من مصادره الموثوقة التي تتسم بالفهم السليم والأمانة والتقوى، وقد وجد الصحابة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، المصدر الموثوق الملازم لمصدر الشريعة النبي ﷺ الموحى إليه من ربه. عن أبي خلف مولى بني جمح أنه دخل مع عبيد بن عمير<sup>(٢)</sup> على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في سقيفة زمزم ليس في المسجد ظل غيرها، فقالت: مرحباً وأهلاً بأبي عاصم - يعني: عبيد بن عمير - ما يمنعك أن تزورنا أو تلم بنا؟ فقال: أخشى أن أملك، فقالت: ما كنت تفعل؟ قال: جئت أن أسألك عن آية في كتاب الله عز وجل، كيف كان رسول الله ﷺ يقرؤها؟ فقالت: آية آية؟ فقال: {الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا} أَوْ {الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا} فقالت: أيتهما أحب إليك؟ قال: قلت: والذي نفسي بيده لإحدهما أحب إلي من الدنيا جميعاً أو الدنيا وما فيها، قالت: أيتهما؟ قلت: {الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا} قالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرؤها، وكذلك أنزلت، أو قالت: (أشهد كذلك أنزلت، وكذلك كان رسول الله ﷺ يقرؤها، ولكن الهجاء حرف)<sup>(٣)</sup>. هكذا فإن عبيد بن عمير

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين - حديث وابصة ﷺ، حديث رقم: ١٨٠٠١ (٥٢٧/٢٩) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف جداً. وعند مسلم في صحيحه: عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ».

(٢) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي، الواعظ المفسر، ولد في حياة رسول الله ﷺ. وحدث عن أبيه، وعن عمر بن الخطاب، وعلي، وأبي ذر، وعائشة، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، وطائفة، حدث عنه ابنه عبد الله بن عبيد، وعطاء بن أبي رباح، وابن أبي مليكة، وعمرو بن دينار، وعبد العزيز بن رفيع، وأبو الزبير، وجماعة. وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة. وكان يذكر الناس، فيحضر ابن عمر رضي الله عنهما مجلسه. روى حماد بن سلمة، عن ثابت، قال: أول من قص عبيد بن عمير على عهد عمر بن الخطاب. قال أبو بكر بن عياش: عن عبد الملك، عن عطاء، قال: دخلت أنا وعبيد ابن عمير على عائشة فقالت له: خفف فإن الذكر ثقیل - تعني إذا وعظت. وقال عبد الواحد بن أيمن: رأيت عبيد بن عمير وله جهة إلى قفاه، ولحيته صفراء. قلت: هو من خضاب السنة. توفي قبل ابن عمر بأيام يسيرة. وقيل: توفي في سنة أربع وسبعين. وكان ابنه عبد الله من علماء المكيين. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥٦/٤).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤٦٤١ (١٨٥/٤١). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

أحب قراءة الآية على وجه يحبه وهو الذي أخبرته أم المؤمنين بأن النبي ﷺ كان يقرأ به ( فقالت: أيتهما أحب إليك ؟ قال: قلت: والذي نفسي بيده لإحدهما أحب إلي من الدنيا جميعاً أو الدنيا وما فيها، قالت: أيتهما؟ قلت: {الذين يأتون ما أتوا}، قال ابن كثير في تفسيره: ( أي: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم، خوفاً أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء. وهذا من باب الإشفاق والاحتياط )<sup>(١)</sup> وروى الإمام أحمد في مسنده ، عن عائشة؛ أنها قالت: يا رسول الله، {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ}، هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: "لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل"<sup>(٢)</sup>. وقال ابن كثير في تفسيره: ( والمعنى على القراءة الأولى - وهي قراءة الجمهور: السبعة وغيرهم - أظهر؛ لأنه قال: {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}، فجعلهم من السابقين. ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك ألا يكونوا من السابقين، بل من المقتصدين أو المقصرين، والله تعالى أعلم )<sup>(٣)</sup>

فإن المدعو عند قراءته للآيات يستشعر المعاني ويتدبرها بخاصة نفسه، وما يصدر عنه من أقوال وأفعال، فيكون لها عظيم الأثر في صلاحه واستقامته، قال الله تعالى: ( اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ )<sup>(٤)</sup> وعليه فإن من المقررات الشرعية يلزم من المدعو الارتباط الوثيق بتلاوة كتاب الله وحفظه، ومعرفة معانيه والعمل به حيث ذلك من أقوى الأسباب في طلب الهداية والثبات عليها بإذن الله ومشيتته.

### ٣- الحرص على الصلاة وحماية النفس من الأعداء:

عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين». وقال أبو صالح حدثني عبد الله عن يونس عن الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية. فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً قبل الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأنا أريد أن أسبح في الأرض فأعبد ربي. قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج ولا يخرج. فإنك تكسب المعدوم، وتصل

(١) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٥، ص: ٤٨٠.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٥٢٦٣ (١٥٦/٤٢). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف. وانظر: سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب سورة المؤمنون، حديث رقم: ٣١٧٥ (٣٢٧/٥). وصححه الألباني .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٥، ص: ٤٨١.

(٤) سورة الزمر: ٢٣.

الرحم، وتحمل الكَلَّ وتقري الضيفَ وتعينُ على نَوَائِبِ الحقِّ، وأنا لك جار. فارجعْ فاعبدُ ربَّكَ ببلادك، فارتحلْ ابنُ الدَّغْنَةِ فرجعَ مع أبي بكرٍ فطافَ في أشرافِ كُفَّارِ قُريشٍ فقال لهم: إنَّ أبا بكرٍ لا يخرجُ مثلهُ ولا يخرجُ، أتخرجون رجلاً يكسبُ المعدومَ، ويصلُ الرِّحِمَ، ويحملُ الكَلَّ ويقري الضيفَ ويُعينُ على نَوَائِبِ الحقِّ؟ فأنفذتُ قُريشُ جِوارَ ابنِ الدَّغْنَةِ، وآمنوا أبا بكرٍ، وقالوا لابنِ الدَّغْنَةِ: مُرْ أبا بكرٍ فليعبدُ ربَّهُ في داره، فليُصلِّ وليُقرأ ما شاء ولا يُؤذِنَا بذلك، ولا يستعلنَ به فإنَّا قد خَشِينَا أن يفتنَ أبناءنا ونساءنا. قال ذلك ابنُ الدَّغْنَةِ لأبي بكرٍ، فطفقَ أبو بكرٍ يعبدُ ربَّهُ في داره ولا يستعلنُ بالصلاة ولا القراءة في غير داره. ثمَّ بدا لأبي بكرٍ فابتنى مَسْجداً ببناء داره، وبرَزَ، فكان يُصلِّي فيه ويُقرأ القرآنَ، فيتقصِّفُ عليه نساءَ المشركين وأبناءؤهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكرٍ رجلاً بكاءً لا يملكُ دمعُهُ حينَ يقرأ القرآنَ، فأفرغَ ذلك أشرافَ قُريشٍ من المشركين، فأرسلوا إلى ابنِ الدَّغْنَةِ فقدمَ عليهم فقالوا له: إنا كنا أجرينَا أبا بكرٍ على أن يعبدَ ربَّهُ في داره وإنه جاوزَ ذلك فابتنى مَسْجداً ببناء داره، وأعلنَ الصلاة والقراءة، وقد خَشِينَا أن يفتنَ أبناءنا ونساءنا فأتته، فإن أحبَّ أن يقتصرَ على أن يعبدَ ربَّهُ في داره فعلَ، وإن أبي إلا أن يعلنَ ذلك فسئلُهُ أن يردَّ إليك ذمتك، فإنَّا كرهنا أن نُخفرك، ولَسْنَا مُقرِّينَ لأبي بكرٍ الاستعلانَ. قالت عائشةُ: فأتى ابنُ الدَّغْنَةِ أبا بكرٍ فقال: قد علمتَ الذي عقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصرَ على ذلك، وإما أن تردَّ إليَّ ذمتي، فإني لأحبُّ أن تسمعَ العربُ أني أخفرتُ في رجلٍ عقدتُ له. قال أبو بكرٍ: فإني أردُّ إليك جِوارَكَ وأرضي بجِوارِ الله — ورسولِ الله ﷺ يومئذ بمكة — فقال رسولُ الله ﷺ: قد أريتُ دارَ هجرتكم، رأيتُ سَبْخَةَ ذاتِ نخلٍ بينَ لابتين، وهما الحِرتان. فهاجرَ من هاجرَ قَبْلَ المدينة حينَ ذَكَرَ ذلك رسولُ الله ﷺ، ورجعَ إلى المدينة بعضُ من كان هاجرَ إلى أرضِ الحَبْشَةِ. وتجهَّزَ أبو بكرٍ مهاجراً، فقال له رسولُ الله ﷺ: على رِسْلِكَ، فإني أرجو أن يُؤذَنَ لي. قال أبو بكرٍ: هل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبسَ أبو بكرٍ نفسه على رسولِ الله ﷺ ليصْحَبَهُ، وعَلَفَ راحلتينِ كانتا عنده وَرَقَ السَّمْرِ أربعةَ أشهرٍ<sup>(١)</sup>.

ومن الدروس الهامة من قصة أبي بكرٍ رضي الله عنه مع ابنِ الدغنة ومشركي قريش ما يجب تأكيده في حياة المدعوين وهو أن الصلاة والقرآن الكريم، لهما أثر عظيم في حياة المدعو، والخشية من أعظم المؤثرات في الاستقامة، عندما يتدبر المسلم الآيات، قال الله تعالى: (كِتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُنِ الْإِنْسَانُ لَدُونَهُ) (٢) والمدعو قد يواجه من الصعوبات في التزامه بدينه حتى في صلاته وتلاوته للقرآن، ولكن عليه أن يصبر ويستخدم أسلوب الحكمة، في حماية نفسه بدفع الأذى عنها، والاحتكام إلى أنظمة المجتمع الكافلة لحمايته أو الهجرة إلى المكان الذي يجد فيه الأمان على دينه، ونفسه وماله وعرضه، وإن لم يكن هذا فإن عليه تقدير المفاصد والمصالح ودرء الضرر عن نفسه بأقل الأضرار، وعليه الصبر والاحتساب ودعاء الله بالفرج.

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب الكفالة - باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، حديث رقم: ٢٢٩٧ (٣/٩٧).

(٢) سورة ص: ٢٩.

وليعلم أن الأنبياء وأتباعهم قد لاقوا صنوف من البأس والأذى؛ فصبروا حتى أتاهم نصر الله، قال الله تعالى: ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ )<sup>(١)</sup>. قال الإمام الطبري في تفسيره : ( أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسوله تدخلون الجنة، ولم يصيبكم مثل ما أصاب من قبلكم من أتباع الأنبياء والرسول من الشدائد والحن والاختبار، فتبتلوا بما ابتلوا واختبروا به من "البأساء" - وهو شدة الحاجة والفاقة - "والضراء" - وهي العلل والأوصاب - ولم تزلزلوا زلزالهم، يعني: ولم يصيبهم من أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهد حتى يستبطى القوم نصر الله إياهم، فيقولون: متى الله ناصرنا؟ ثم أخبرهم الله أن نصره منهم قريب، وأنه مُعليهم على عدوهم، ومظهرهم عليه، فنجز لهم ما وعدهم، وأعلى كلمتهم، وأطفأ نار حرب الذين كفروا )<sup>(٢)</sup> ومن الآية، يجب أن يعرف المدعو أنه ليس الوحيد على هذا الطريق، وله سلف، وله رفقاء في مرحلة حياته، ولهم خلف؛ فمن واجبه الصبر والتوكل على الله، وأن يكون قدوة حسنة للآخرين من معه، ولم يخلفهم .

#### ٤ - تعلم العلم الشرعي والحرص على القرآن والأخذ بفضائله:

إن محبة العلم والحرص عليه، من أعظم المؤثرات في المدعو، ومتى تمكن العلم من قلبه وعقله، أصبح في حصن من الجهل، وعلى بصيرة من دينه ودنياه ( وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَا تَمْنَعُوا الْعِلْمَ أَحَدًا فَإِنَّ الْعِلْمَ أَمْنٌ لِحَبَانِهِ. فَأَمَّا إِنْ لَمْ يَكُنْ الدَّاعِي دِينِيًّا نَظَرَ فِيهِ فَإِنْ كَانَ مُبَاحًا، كَرَجُلٍ دَعَاهُ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ حُبُّ التَّبَاهَةِ وَطَلَبُ الرَّئَاسَةِ، فَالْقَوْلُ فِيهِ يُقَارِبُ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ فِي تَعْلِيمٍ مِنْ قَبْلٍ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ يُعْطِفُهُ إِلَى الدِّينِ فِي ثَانِي حَالٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُبْتَدئًا بِهِ فِي أَوَّلِ حَالٍ. وَقَدْ حُكِيَ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: تَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ لِنُغَيِّرَ اللَّهَ تَعَالَى، فَأَبَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: طَلَبْنَا الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا فَدَلَّنَا عَلَى تَرْكِ الدُّنْيَا )<sup>(٣)</sup> وتكمن قوة العلم بالعمل به، وبهما تكون قوة دين المرء وصلابته، وقد كان ﷺ يحب العلم إلى نفوس أصحابه، وأعظمه كتاب الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلَفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ ». قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ « فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلَفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ »<sup>(٤)</sup>. فإن المدعو الناصح لنفسه، يستثمر وقته مع العلم

(١) سورة البقرة: ٢١٤ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٢٨٨ .

(٣) أدب الدنيا والدين، على بن محمد بن حبيب الماوردي، القاهرة: دار الفكر للنشر، ص: ٨٩ .

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، حديث رقم: ١٩٠٨ (١٩٦/٢).



والعلماء، ويحرص في زمن الفراغ والقوة على العلم قبل أن يشغل أو يضعف، لأن عمر الإنسان مراحل منقضية، يجب أن يغتنمها المسلم في طلب الهداية بالعلم في الزمن المناسب قبل فواته، عن قيس بن أبي حازم<sup>(١)</sup> قال: أتينا أبا هريرة نسلم عليه قال: قلنا حدثنا فقال: «صحب رسول الله ﷺ ثلاث سنين ما كنت سنوات قط أعقل مني فيهن، ولا أحب إلي أن أعني ما يقول الله ﷻ فيهن وإني رأيته يقول بيده: «قريب بين يدي الساعة تقاتلون قوماً نعالهم الشعر، وتقاتلون قوماً صغار الأعين، حمر الوجوه، كأنها الجان المطرقة والله لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيبيعه ويستغني به ويتصدق منه، خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله يؤتيه أو يمنعه وذلك أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول» «وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»<sup>(٢)</sup>.

وحرص المدعو على فضائل السور من كتاب الله يجعله من المهتدين لخير الأعمال؛ لفضل بعض السور وعموم خيرها، وعموم فضل وخير القرآن، عن عقبة بن عامر يقول: «تعلقت بقدم رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أقرئي سورة هود وسورة يوسف. فقال لي رسول الله ﷺ: يا عقبة بن عامر إنك لم تقرأ سورة أحب إلى الله عز وجل ولا أبلغ عنده من {قل أعوذ برب الفلق}»<sup>(٣)</sup>.

#### ٥- أخذ الأمر معاينة فليس الخبر كالمعاينة:

إن من أعظم الأثر في نفس المدعو وعقله، ما يكون الأمر فيه صادراً عن رغبة ومحبة، فيكون عميق الأثر، عندما يرى ويسمع، وهذا ما يقرره قول طالب العلم لشيخه<sup>(٤)</sup>:

كانت مسألة الركبان تجربنا \*\*\* عن علمكم ثم عنكم أحسن الخبر  
ثم التقينا وشاهدت العجائب من \*\*\* غزير علم همته دقة النظر  
فقلت حينئذ: والله ما سمعت \*\*\* أذنأي أحسن مما قد رأى بصري

(١) قيس بن أبي حازم العالم الثقة الحافظ، أبو عبد الله البجلي الأحمسي، الكوفي واسم أبي حازم عبد عوف بن الحارث ويقال اسمه عوف بن عبد الحارث بن عوف، مات سنة أربع وتسعين، وقيل سنة أربع وثمانين وقيل سنة ست وثمانين، انظر الثقات لابن حبان (٣٠٧/٥) والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (١٣٨/٢) ورجال صحيح البخاري (٦١٣/٢) ورجال مسلم (١٤٤/٢)، و سير أعلام النبلاء (١٩٨/٤).

(٢) انظر : مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة - حديث رقم : ١٠١٥٢ (١٣٦/١٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٣) انظر : مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين - حديث عقبة بن عامر ؓ ، حديث رقم : ١٧٤١٨ (٦٣٤/٢٨). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح .

(٤) تنسب إلى أبي القاسم محمد ابن هانئ الأندلسي وإلى غيره قاله ابن خلكان في (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر ج ٦، ص: ٤٧).

فإن ملاقاته العلماء والارتحال في طلب العلم سنة السلف الصالح، فمن أجل العلم والهدى، كانت الركبان تضرب بالإبل أكباد البلدان وتشق الصحراء والفيافي، عن أبي عبيدة عن رجل قال: «قلت لعدي بن حاتم: حديث بلغني عنك أحب أن أسمعك منك؟ قال: نعم، لما بلغني خروج رسول الله ﷺ فكرهت خروجه كراهة شديدة، خرجت حتى وقعت ناحية الروم، وقال: - يعني ببغداد - حتى قدمت على قيصر: قال: فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهتي لخروجه، قال: فقلت: والله لولا أتيت هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضرنني وإن كان صادقاً علمت، قال: فقدمت فأتيته فلما قدمت قال الناس: عدي بن حاتم، عدي بن حاتم، قال: فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي: يا عدي بن حاتم أسلم تسلم، ثلاثاً قال: قلت: إني على دين، قال: إنا أعلم بدينك منك، فقلت: أنت أعلم بديني مني؟! قال: نعم، أنت من الركوسية<sup>(١)</sup> وأنت تأكل مرباع قومك؟ قلت: بلى، قال: فإن هذا لا يحل لك في دينك، قال: فلم يعد أن قالها فتواضعت لها، فقال: أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة<sup>(٢)</sup>؟ قلت: لم أرها، وقد سمعت بها، قال: فوالذي نفسي بيده ليطمن الله هذا الأمر حتى تخرج الطعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز، قال: قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: نعم، كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد، قال عدي بن حاتم: فهذه الطعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها»<sup>(٣)</sup>.

إن أسلوب النبي ﷺ غير وجه الكراهة والتكذيب من حياة عدي بن حاتم رضي الله عنه، إلى المحبة والتصديق، حيث صيغة الأسلوب تعددت في موقف واحد من دعوته ﷺ لحاتم بتكراره كلمة (أسلم تسلم) ثلاث مرات، وإخباره عن حقيقة دينه من النصرانية الذي هو عليها، وبيان مخالفته لأمر دينه، وإخباره عن حقيقة ما يدور في نفسه مما يمنعه عن الإسلام، والتأكيد له على قوة دين الإسلام وظهوره على الدين كله، وهزيمة أعدائه، وأمن الناس به وثرانهم. فإن هذا الأسلوب أثر في نفس حاتم وأسلم ﷺ.

(١) الرُّكُوسِيَّةُ قوم لهم دين بين النصارى والصابئين، وهذا من نعت النصارى ولا يعرب. أما الركس في العربية من (ركس) الركس الجماعة من الناس وقيل الكثير من الناس والركس شبيه المعنى بالرجيع يقال ركست الشيء وأركسته إذا ردّته ورجعته، والمركوس والمركوس المدبر عن حاله والركس رد الشيء مقلوباً أنظر: لسان العرب لابن منظور (١٠٠/٦).

(٢) الحيرة بالكسر ثم السكون وراء مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من خم النعمان وآبائه والنسبة إليها حاري، وقيل سميت الحيرة لأن تبعاً الأكبر لما قصد خراسان، خلف ضعفة جنده بذلك الموضع وقال لهم: حيروا به أي أقيموا به، وقيل غير ذلك، والحيرة أيضاً محلة كبيرة مشهورة بنيسابور ينسب إليها كثير من المحدثين، والحيرة أيضاً قرية بأرض فارس. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٢٨/٢).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - أول مسند الكوفيين - حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه، حديث رقم: ١٨٢٦٠ (١٩٦/٣٠). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: بعضه صحيح وهذا إسناد حسن.

## ٦- التمسك بمواطن القوة:

عن عبد الله بن كعب - وكان قائد كعب حين عمي - قال: سمعتُ كعب بن مالك رضي الله عنه يُحدثُ حينَ تخلّفَ عن النبي ﷺ في غزوة تبوك بطوله، قال في حديثه «ولقد شهدتُ مع النبي ﷺ ليلة العقبة حين تواتقنا على الإسلام، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدرٌ أذكر في الناس منها»<sup>(١)</sup>.

إن من مواقف الإسلام الشهيرة، بيعتنا العقبة، وهما بيعتان على الإيمان والنصرة بين النبي ﷺ والأنصار من المدينة قبل الهجرة، وكان لهما الأثر الكبير في نصرته الإسلام وانتشاره، ولهما الأثر في نفوس من حضرها، حتى أصبحت ميزة لهم ومأثرة، وهما كما هو الحال فيمن حضر بدرًا تميزوا عن غيرهم بهذا الفضل، ومن هذا الموقف نأخذ درسًا في أثر المحبة على شخصية المدعو، فعندما يصاب المدعو بمصيبة، كما أصيب كعب رضي الله عنه حال تخلّفه عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ورمي الناس له بالنفاق والخذلان، أخذ الطريق الصحيح في علاج موقفه بالصدق مع النبي ﷺ والتوبة إلى الله بصدق، وتحمل الحكم الشرعي بحقه، ولاقَى هجر الناس له بالصبر، حتى جاء الفرج بقبول توبته. وهذا الشعور يبقى مع كعب إلى آخر عمره، حيث عمي ويتذكر مواطن القوة عنده في إسلامه وهو مشهد ليلة العقبة. ومنه ندرك أن المدعو يتأثر بمحبة مشاهد الخير ومواقف الشرف في حياته لما لها من الأثر القوي في نفسه، وهنا على الداعية أن يذكر المدعو بما كان منه من هذه المواقف لبعث كوامن الخير لديه، ويكون أدعى للاستجابة لمواقف أخرى؛ بالصبر والمصابرة وأدعى للثبات على الحق. والمدعو يلزمه أخذ العبر من حياته، والتمسك بمواطن القوة في شخصه وحياته، ويجدد العزم له ولغيره بالثبات على الحق، والالتزام بالخير ظاهره وباطنه، أوله وآخره.

## ٧- الحرص على حسن الختام باتباع الحق وإجلال أهله:

إن طالب الهداية عندما يدرك الحق ويعرف ما كان عليه من الضلال وخطر ذلك على نفسه؛ فإنه يستمسك بالحق بقوة، ويبدأ بمحاسبة نفسه، والاستعاضة عما فات بما هو آت، ولكن هناك عقبة خطيرة، يتجاوزها أهل الإخلاص ويتعثر عندها أهل النفاق، وهي ساعة الفراق من الدنيا فإما إلى حسن الخاتمة أو إلى سوء ختام، وعلى كل مهتد بعد ضلالة، بل كل من شملته دعوة الإسلام واهتدى، أن يحسب لهذا الزمن الحاسم حساب خاص بأن يغلب الرجاء في حال الشدة والمرض وأن يغلب الخوف في حال الرخاء والصحة وأن يعتدل بهما في حال اعتدال أمر الحياة، فإن الخوف والرجاء في إيمان المرء بمنزلة الجنّاحين للطائر والمحبة بمنزلة الرأس والثلاثة تعبر عن معنى العبودية ذكرها الشيخ عبد المحسن القاسم في شرح<sup>(٢)</sup> الأصول الثلاثة قال: (وأركان العبادة الخوف، والرجاء، والمحبة، ويجب على العبد الإتيان بها جميعاً قال ابن

(١) انظر: صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب حديث كعب بن مالك، حديث رقم: ٣٨٨٩ (٥/٥٤). انظر: صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث رقم: ٧١٩٢ (٨/١٠٥).

(٢) تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول، عبد المحسن بن محمد القاسم، ط ١، ١٤٢٧ هـ. ج ١، ص: ٦٦.

القيم رحمه الله: قال بعض السلف<sup>(١)</sup>: " من عبد الله تعالى بالحب وحده فهو زنديقٌ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروريٌّ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن، وقد جمع الله تعالى هذه المقامات الثلاثة بقوله: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه} فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف، فهذه طريقة عبادته وأوليائه ". والحب تجلب الخوف والرجاء قال ابن القيم رحمه الله: " كل محبة فهي مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلى قدر تمكنها من قلب الحب يشتد خوفه ورجاؤه " <sup>(٢)</sup> وعن ابن شماس المهرري قال: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه - وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ - . فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ . فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ : يَا أَبَتَاهُ ! أَمَا بَشَرَكُ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا ؟ أَمَا بَشَرَكُ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا ؟ قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : إِنَّ أَفْضَلَ مَا تُعَدُّهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثَ . لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ مِنِّي . وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ . فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ فَقُلْتُ : ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ . فَبَسَطَ يَمِينَهُ . قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي . قَالَ : « مَا لَكَ يَا عَمْرُو ؟ » قَالَ قُلْتُ : أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ . قَالَ : « تَشْتَرِطُ بِمَاذَا ؟ » قُلْتُ : أَنْ يُغْفَرَ لِي . قَالَ : « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ » وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ . وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ . وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ . وَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَذْرِي مَا حَالِي فِيهَا ، فَإِذَا أَنَا مِتُّ ، فَلَا تَصْحَبُنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشْنُوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا . ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنَحِرُ جُزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا حَتَّى اسْتَأْنَسَ بِكُمْ ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رَسُولَ رَبِّي . <sup>(٣)</sup>

(١) العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد زهير الشاويش، بيروت: المكتبة الإسلامية، ط ٧، ١٤٢٦هـ، ص: ١١٢.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٣هـ، ج ٢، ص: ٤٣.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، حديث رقم: ٣٣٦ (٧٨/١).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ، ج ١، ص: ٤٦٧ - ٤٦٨.

وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ<sup>(١)</sup> وخلاصة القول هنا أن يحرص المدعو على العلم ويأخذه من مصدره الموثوق بالدليل، فهو السبيل القويم في طلب الهداية.

#### ٩- محبة حلق الذكر والحرص على الإيمان:

إن من اللوازم الهامة في حياة المدعو أن يعطي نفسه حقها من الدنيا، وألا يشغله ذلك عن حظها المقدم من الآخرة، ومن أفضل ما يلزمها في ذلك، الذكر ومجالس العلم وهما من عوامل زيادة الإيمان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إذا لقي الرجل من أصحابه يقول: تعال نؤمن بربنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل فعضب الرجل، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة. فقال النبي ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْجَالِسَ الَّتِي تُبَاهِي بِهَا الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»<sup>(٢)</sup>. وكما أن الذكر والعلم من عوامل زيادة الإيمان، فإن المسلم يعرف بهما حقيقة الدين. ومعرفة الدين الحق هي أسمى الغايات، وبها تسخر الدنيا في طلب الآخرة. والمال من أهم أمور الدنيا، فهو وسيلة التبادل في المعيشة ويستخدم وسيلة لتأليف قلوب المدعويين، لما له من محبة في النفوس، ويتنافس فيه الناس، ولكنه يهون عندما يقوى الإيمان، وتذكر حقيقة الدنيا والآخرة، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. فَاتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ أَسْلَمُوا. فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَسْلُمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا. فَمَا يُسْلَمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.<sup>(٣)</sup>

#### ١٠ - الدعاء وطلب الدعاء من أهل الاستجابة:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ. فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَاسْمَعَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ مَا أَكْرَهُ. فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَبْكِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْتِي عَلَيَّ. فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَاسْمَعَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ. فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ. فَلَمَّا جِئْتُ فَصَرْتُ إِلَى الْبَابِ. فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ. فَسَمِعْتُ أُمِّي خَشَفَ قَدَمِيَّ. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَاعْتَسَلْتُ وَلَبِسْتُ دَرْعَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا. فَفَتَحَتِ الْبَابَ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَاتَّبِعْهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا.

(١) سورة المائدة : ٤.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ، حديث رقم : ١٣٧٩٥ (٣٠٩/٢١). تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب ما سنل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه، حديث رقم: ٧١٦١ (٧٤/٧).

(٤) انظر: صحيح البخاري- كتاب الطب- باب من اکتوی أو کوی غیره وفضل من لم یکتو، حدیث رقم: ٥٧٠٥ (٧/ ١٢٦) وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان- باب الدلیل علی دخول طوائف من المسلمین الجنة بغير حساب ولا عذاب حدیث رقم: ٥٤٧ (١/ ١٣٧).

أخبر ﷺ أن عكاشة من السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وقد وقع ما أخبر به ﷺ فإنه قُتل شهيداً في سبيل الله عز وجل وفي هذا دليل من أدلة النبوة<sup>(١)</sup>

وقال شيخ ابن تيمية في كتابه قاعدة جلية في التوسل والوسيلة: ( بل طلب الدعاء مشروع من كل مؤمن لكل مؤمن )<sup>(٢)</sup> وهنا يستدرك على بعض الدعاة مما يصدر عنهم من القول والفعل، ممن رأى منكراً أو معصية صغيرة أو كبيرة، ويبدأ باللعن أو الشتم، والتوبيخ والتقييح لصاحبها، دون أن يدرك الموقف بمعرفة أسباب الوقوع في هذه المعصية، ويغفل من شدة ما رأى من المنكر عن الدعاء لهم بالهداية والصلاح، و يغفل عن دوره الدعوي الصحيح المرتبط بالتصحيح، ويتعد، أيضاً، عن مقتضيات الحكم الشرعي تجاههم فيما يخصه أو فيما يخص السلطان من الأحكام وغيرها. فلا بد من الحكمة في معالجة عصيان العاصين من الأقربين والأبعدين ومن ذلك الدعاء لهم بالهداية والصلاح. ودراسة الموقف دراسة واعية تقوم على النقل الصحيح الثابت لمقاصد الأدلة، وأحكامها الشرعية مع استقصاء لمعقولية التصرف أو عاطفة القلب ومصادر الشك والريبة، وكل أمر مرجعه إلى العلماء والسلطان يكون فيه الخير والرشاد للدعاة والمدعوين.

(١) إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص: ٩٠

- ٩١ -

(٢) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، عجمان: مكتبة الفرقان، ط١،

١٤٢٢هـ، ج ٢، ص: ٢٨٤.



## المطلب الثاني: عوائق الاستجابة

إن الدعوة إلى الله تعالى، هي مهمة الرسل عليهم السلام، وطريقة من اقتفى أثرهم من أهل العلم المستقين وأهل البلاغ المبين، ولقد أرسل الله المرسلين حجة على الناس، مبشرين ومنذرين، وكانت دعوتهم من قبل المدعويين على طرفي نقيض بين الاستجابة والقبول والمساندة وبين الرفض والمعارضة والمخاربة، وهو الصراع بين الحق والباطل وحقيقة العداء بين الشيطان وبني آدم، قال الله تعالى: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۖ) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجْبِلِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا<sup>(١)</sup> فإن الدعاة إلى الله يتعاملون مع أصناف مختلفة من البشر، في سبيل دعوتهم إلى الحق، ولا بد لهم أن يدركوا أن هؤلاء المدعويين في مواجهة مع كثير من العقبات الدائمة أو المؤقتة التي تقف حائلا دون استجابتهم للدعوة، ومن فقه الدعوة أن ندرك أنه لا بد للدعاة من العمل على إزالة هذه العوائق، للتمكن من قبول الدعوة وحث المدعويين بالعمل على تجاوزها، ولما للمحبة من أثر في شخصية الدعاة والمدعويين، وأثر في ثبات المعوقات أو إزالتها، حيث هي من الأسباب الظاهرة أو الباطنة في الاستجابة والهداية أو الرفض والمعارضة، ويندرج ذلك في محبة الإنسان للحياة الدنيا، واغتراره بزخرفها، قال الله تعالى: (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ)<sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى: (إِنَّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۖ) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا<sup>(٣)</sup> قال الإمام الطبري: (يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المشركين بالله يحبون العاجلة، يعني، الدنيا، يقول: يحبون البقاء فيها وتعجبهم زينتها) وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ( يقول: ويدعون خلف ظهورهم العمل للآخرة، وما لهم فيه النجاة من عذاب الله يومئذ )<sup>(٤)</sup> ومن أحب الأشياء من زخرف الحياة الدنيا المال، وهو خطر على صاحبه إن لم يحسن العمل به سواء في المكسب أو الإنفاق ، قال الله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۖ) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۖ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ<sup>(٥)</sup> قال البغوي في تفسيره: ( { وَإِنَّهُ } يعني الإنسان، { لِحُبِّ الْخَيْرِ } أي حب المال، { لَشَدِيدٌ } أي: لبخيل، أي إنه من أجل حب المال لبخيل. يقال للبخيل: شديد ومتشدد. وقيل: معناه وإنه حب الخير لقوي، أي شديد الحب للخير أي المال )<sup>(٦)</sup> وهنا من الأهمية

(١) سورة الكهف: ٥٥ - ٥٦.

(٢) سورة القيامة: ٢٠ .

(٣) سورة الإنسان: ٢٧ - ٢٨ .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٤، ص: ١١٧.

(٥) سورة العاديات: ٦ - ٨ .

(٦) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧

هـ، ج ٨ ، ص: ٥٠٩ .

بمكان، بيان أثر المحبة في تكوين عقبات أمام استجابة المدعوين للدعوة، و سأعرض بعض هذه العوائق المتعلقة بلفظ الحب، مستدلاً بنصوص الكتاب والسنة حسب محاور نصوص الاستشهاد فيها، كما يلي:

#### (١) حب المنصب والجاه:

إن الإنسان مجبول على حب التملك وحب الرئاسة، حيث يشعر من خلاهما بقيمة الفخر والاعتزاز والقوة، وتبعاً للصفات الشخصية والقدرات الذاتية والظروف الاجتماعية، يتمكن الإنسان من البروز على غيره إما لكثرة ماله أو ما وصل إليه من جاه أو سلطان، ومتى تمكنت هذه من النفس في صورة منحرفة ولم تؤخذ بميزان الاعتدال والشرع؛ فإنها تصل بصاحبها إلى الغرور والطغيان، بل يتعدى الأمر إلى الوصول به إلى مواطن الهلاك في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿١﴾ أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٢﴾) (١) ومن مواقف السيرة النبوية في السنة النبوية، أن نابتة النفاق في مواجهة دعوة الإسلام كان سببها حب الرئاسة، حتى أصبح أصحابها حرباً على الدعوة وشخصياتها، وهذا ما فعله عبد الله بن أبي بن سلول، عن عروة عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، أخبره «أن النبي ﷺ ركب على حمار على إكاف على قטיפه فذكية، وأردف أسامة وراءه، يعود سعد بن عباد قبل وقعة بدر، فسار حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله، وفي المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة. فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة حمّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه قال: لا تغبروا علينا. فسلم النبي ﷺ ووقف ونزل فدعاهم إلى الله فقرأ عليهم القرآن. فقال له عبد الله بن أبي: يا أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً، فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه. قال ابن رواحة: بلى يا رسول الله، فاعشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك. فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفّضهم حتى سكتوا، فركب النبي ﷺ دابته حتى دخل على سعد بن عباد فقال له: أي سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب (يريد عبد الله بن أبي) قال سعد: يا رسول الله اعف عنه واصفح، فلقد أعطاك الله ما أعطاك، ولقد اجتمع أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه، فلما رد ذلك بالحق الذي أعطاك الله شوقاً بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت» (٢).

#### (٢) المعتقدات الباطلة والموبقات كالسحر:

إن دعوة الإسلام هي الحق، والحق أبلغ كضياء الشمس، ولا يحجب عن قلب المرء إلا بغطاء غليظ من الضلالات والموبقات، ومن أعظمها الاعتقاد في الأشخاص والأماكن دون أفضلية مشروعة في حقها، و تعلم العلوم التي تبني على الباطل وادعاء علم الغيب، كعلم الكهانة والعرافة، والأنواء، والأبراج،

(١) سورة العلق: ٦ - ٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب {وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا}، حديث

رقم: ٥٦٦٣ (١١٨/٧).

واستخدام الجن والشياطين، قال الله تعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا) ١ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتَ بِكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَى أَدْبَرِهِمْ تُفُورًا) ٢ (١) وأصل دعوة الإسلام أن الشرك بالله أعظم الذنوب، - وهو النقيض لمعنى التوحيد - في الاعتقادات أو صرف الأعمال والأقوال لغير الله تعالى، والتمسك بهذا الإثم العظيم، أحد العوائق العظيمة في الصد عن دين الله وعدم الاستجابة له، فمن واجبات الدعاة إلى الله الكشف عن حقيقة الشبهات التي تربل عوامل التمسك بالشرك عند المشركين من بيان ضعف الآلهة وعدم قدرتها على النفع والضرر أو الخلق والأمر، وبيان زيف التعصب لما عليه الآباء والأجداد من الأفكار الباطلة والعقائد الفاسدة، ويتم كشف هذا الأمر بمخاطبة العقل فتستجيب الفطرة، قال الله تعالى: (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) ٣ وعلى الدعاة أيضا، أن يحذروا من مجالسة المنحرفين في العقيدة والسلوك لخطورة التأثير بين المتجالسين والقرناء، (عن أبي الحارث قال: سألت أبا عبد الله فقلت: إن ههنا رجلا يناظر الجهمية، ويبين خطأهم، ويدقق عليهم المسائل فما ترى؟ قلت: «لست أرى الكلام في شيء من هذه الأهواء، ولا أرى لأحد أن يناظرهم، أليس قال معاوية بن قرة: الخصومة تحبط الأعمال، والكلام الرديء لا يدعو إلى خير، لا يفلح صاحب كلام، تجنبوا أصحاب الجدل والكلام، عليكم بالسنن، وما كان عليه أهل العلم قبلكم، فإنهم كانوا يكرهون الكلام، والخوض في أهل البدع، والجلوس معهم، وإنما السلامة في ترك هذا، لم نؤمر بالجدال، والخصومات مع أهل الضلالة، فإنه سلامة له منه» ٤) ومن أعظم الموبقات السبع ٥ التي نهى عنها الإسلام والمعارضة لمسلمات الدين الحق بعد الشرك، تلبس المرء بأوهام السحر وباطله، فإنه سبيل إلى الكفر الذاتي بالله، وسبيل لنشره، وسبيل لإيذاء المؤمنين، ولا طريق إلى الخلاص منه إلا بالتوبة النصوح والابتعاد عن أهله وفتنتهم، قال الله تعالى: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) ٦ (٥) ومن قواعد الشريعة: (ما بني على باطل فهو باطل) وقد قام السحر على أصل الكفر بالله، ومن السنة النبوية نعلم من حديث الغلام، أن السحر من مساخط الله وليس من محابه، بل هو مضاد للوحي والحق الذي جاء به المرسلون، عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ. فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ

(١) سورة الإسراء: ٤٥ - ٤٦.

(٢) سورة النحل: ١٧.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقه الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي وآخرون، الرياض: دار الراية، ط ٢، ١٤١٥هـ، ج ٢، ص: ٥٤٠.

(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشَّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ). رواه البخاري في كتاب الوصايا - باب قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى)، حديث رقم: ٢٧٦٦ (١٠/٤).

(٥) سورة البقرة: ١٠٢.

غُلَامًا أَعْلَمَهُ السَّحَرُ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ. فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ، رَاهِبٌ. فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ. فَأَعْجَبَهُ. فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ. فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرْبَهُ. فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ. فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ. فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ. حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَفَقَّتَلَهَا. وَمَضَى النَّاسُ. فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي أَنْتَ، الْيَوْمَ، أَفْضَلُ مِنِّي. قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى. وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى. فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلُّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ. فَأَتَاهُ بِهِدَايَا كَثِيرَةٍ. فَقَالَ: مَا هَهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا. إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ. فَأَمِنَ بِاللَّهِ. فَشَفَاهُ اللَّهُ. فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ. فَجِيءَ بِالْغُلَامِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا. إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ. فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ. فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى فَدَعَا بِالْمُشَارِ. فَوَضَعَ الْمُشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ. فَشَقَّه حَتَّى وَقَعَ شَقَاهُ. ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى. فَوَضَعَ الْمُشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ. فَشَقَّه بِهِ حَتَّى وَقَعَ شَقَاهُ. ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا. فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ. فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَارْجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا. وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُرَةٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ. فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَّتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا. وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ. ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي. ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ. ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ ارْمِنِي. فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. وَصَلَبَهُ عَلَى جَذَعٍ. ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ. ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ. فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ. فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ، وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ. قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأَخْذِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَّ فَخُذَّتْ وَأُضْرِمَ

النَّيْرَانِ. وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا. أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ. فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا. فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا. فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمِّهِ اصْبِرِي. فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ<sup>(١)</sup>. وفي هذا الحديث دروس عظيمة، من أهمها أن السحر من عوائق الاستجابة لدين الله وسبب في الإضرار بالدعوة الحقّة وأهلها. ويجب على المدعو أن يستبين الحق من الباطل ويصبر على الأذى في سبيل ذلك. قال الغلام: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ. حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا. وَمَضَى النَّاسُ) ومما قرره العلماء في الفرق بين السحر وغيره مما يشبهه به في أمر الإسلام قال القرطبي في تفسيره: ( في الفرق بين السحر والمعجزة، قال علماؤنا: السحر يوجد من الساحر وغيره، وقد يكون جماعة يعرفونه ويمكنهم الإتيان به في وقت واحد. والمعجزة لا يمكن الله أحدا أن يأتي بمثلها وبمعارضتها، ثم الساحر لم يدع النبوة فالذي يصدر منه متميز عن المعجزة، فإن المعجزة شرطها اقتران دعوى النبوة والتحدي بها<sup>(٢)</sup> )

### ٣) حب المال:

قال الله تعالى: (وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا)<sup>(٣)</sup>، قال الإمام الطبري في تفسيره أي: (وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حبا كثيرا شديدا، من قولهم: قد جمّ الماء في الحوض: إذا اجتمع)<sup>(٤)</sup> إن محبة الإنسان للمال أمر فطري، والسعي في اكتسابه وجمعه يختلف الناس فيه، بين محسن ومسيء، وذلك لاختلاف الناس في الغايات من جمعه وطرق اكتسابه وسبل إنفاقه، والبخلاء هم أعداء لأنفسهم، أعداء لغيرهم بما اتصفوا به من الشح، فقد حرموا غيرهم من حق الله في المال من الصدقات، وحرّموا أنفسهم الطهارة والزكاة قال الله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ<sup>(٥)</sup> وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)<sup>(٥)</sup> فإن الحرص الشديد على المال ودخوله إلى القلب يحرم صاحبه الخير الكثير، ومن أكبر ما قد يضر صاحبه به، أن يمنعه من الاستجابة لدعوة الإسلام، هربا من الزكاة كما فعل المرتدون عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو من أعظم

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق - باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم: ٧٧٠٣ (٢٢٩/٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ، ج ٢، ص: ٤٧.

(٣) سورة الفجر: ٢٠.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٤، ص: ٤١٥.

(٥) سورة آل عمران: ١٨٠.

البركات على صاحبه في الاستجابة لأمر الله فيه قال الله تعالى : ( إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ )<sup>(١)</sup> وقد أدرك النبي ﷺ حب بعض الناس للمال فعمل على استخدامه في جذب المدعوين إلى الإسلام عن طريق حبهم للمال، إنقاذاً لهم من النار، عن عامر بن سعد عن أبيه قال: «أعطى رسول الله ﷺ رهطاً وأنا جالسٌ فيهم، قال فترك رسول الله ﷺ منهم رجلاً لم يُعطه — وهو أعجبهم إليَّ — فقمْتُ إلى رسول الله ﷺ فساررته فقلتُ: ما لك عن فلان، واللهِ إني لأراه مؤمناً؟ قال: أو مسلماً. قال فسكتُ قليلاً، ثم غلبي ما أعلم فيه فقلتُ: يا رسول الله، ما لك عن فلان، واللهِ إني لأراه مؤمناً؟ قال: أو مسلماً. قال فسكتُ قليلاً، ثم غلبي ما أعلم فيه فقلتُ: يا رسول الله ما لك عن فلان، واللهِ إني لأراه مؤمناً؟ قال: أو مسلماً يعني: فقال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إليَّ منه خشيةً أن يكِبَّ في النار على وجهه»<sup>(٢)</sup>.

ومن التأثير السلبي لحب المال على صاحبه، الفرح به على سبيل الفخر والكبر والمرح والتكاثُر، وهذا غير محمود في الشرع، وفي قصة قارون المثل الأعلى على ذلك، بوب الإمام البخاري يرحمه في صحيحه (باب ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ )<sup>(٣)</sup> ( لَتَنُوءُ ) لَتَثْقُلُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ( أُولَى الْقُوَّةِ ) لَا يَرْفَعُهَا الْعُصْبَةُ مِنَ الرَّجَالِ، يُقَالُ ( الْفَرِحِينَ ) الْمَرَحِينَ ( وَيَكُنَّ اللَّهُ ) مِثْلُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ( وَيُوسِّعُ عَلَيْهِ وَيُضَيِّقُ )<sup>(٤)</sup>. قال السعدي في تفسيره : ( يخبر تعالى عن حالة قارون وما [فعل] وفعل به ونصح ووعظ، فقال: { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى } أي: من بني إسرائيل، الذين فضّلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، وامتن الله عليهم بما امتن به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكن قارون هذا، بغى على قومه وطغى، بما أوتيته من الأموال العظيمة المطغية { وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ } أي: كنوز الأموال شيئاً كثيراً، { مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ [أُولَى الْقُوَّةِ] والعصبة]، من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، ونحو ذلك. أي: حتى أن مفاتيح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟ { إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ } ناصحين له محذرين له عن الطغيان: { لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ } أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على

(١) سورة الحديد: ١٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الزكاة- باب قول الله تعالى (لا يسألون الناس إلحافاً) وكلم الغنى، حديث رقم: ٢٧. صحيح البخاري- طوق النجاة (١ / ١٤) وانظر: صحيح مسلم-كتاب الزكاة- باب إعطاء من يخاف على إيمانه، حديث رقم: ٢٤٨٠ (٣/١٠٤).

(٣) سورة القصص : ٧٦.

(٤) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حسب ترقيم فتح الباري، القاهرة: دار الشعب، ط ١،

١٤٠٧، ج ٤، ص: ١٩٣.

محبته<sup>(١)</sup>. وعندما صده حب المال عن الاستجابة للحق كانت النتيجة المهلكة أن خسف الله به وبداره الأرض، والميزان في المال أداء حق الله فيه، والاستمتاع به في المباحات، والإكثار من الخيرات، عن أبي العلاء بن الشخير<sup>(٢)</sup>: «أن الأحنف بن قيس رضي الله عنه حدثهم قال: «جَلَسْتُ إِلَى مَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ خَشِنُ الشَّعْرِ وَالثِّيَابِ وَالهَيْئَةِ، حَتَّى قَامَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ<sup>(٣)</sup> يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ثُمَّ يُوضَعُ عَلَى حَلْمَةِ تَذِي أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضٍ<sup>(٤)</sup> كَتِفِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلْمَةِ تَذِيهِ يَنْزَلُ. ثُمَّ وَلَّى فَجَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ. وَتَبِعْتُهُ وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَأَنَا لَا أَدْرِي مَنْ هُوَ، فَقُلْتُ لَهُ: لَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا قَدْ كَرِهُوا الَّذِي قُلْتُ؟ قَالَ: إِنْهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا» قَالَ لِي خَلِيلِي — قَالَ قُلْتُ: مَنْ خَلِيلُكَ؟ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَبْصِرُ أَحَدًا؟ قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ، وَأَنَا أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرْسِلُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ، قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: مَا أَحَبُّ أَنَّ لِي مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا أَنْفَقَهُ كُلُّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ. وَإِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ، إِنَّمَا يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا. لَا وَاللَّهِ، لَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيَاً لَا أَسْتَفْتِيهِمْ عَنْ دِينٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ»<sup>(٥)</sup>.

قال ابن حجر في شرحه للحديث: (قوله: وإن هؤلاء لا يعقلون، هو من كلام أبي ذر كرره تأكيداً لكلامه، ولربط ما بعده عليه، باب إنفاق المال في حقه، وأورد فيه الحديث<sup>(٦)</sup> الدال على الترغيب في ذلك، وهو من أدل دليل على أن أحاديث الوعيد محمولة على من لا يؤدي الزكاة، وأما حديث: ما أحب أن لي أحداً ذهباً، فمحمول على الأولوية؛ لأن جمع المال وإن كان مباحاً، لكن الجامع مسؤول عنه، وفي المحاسبة خطر وإن كان الترك أسلم، وما ورد من الترغيب في تحصيله وإنفاقه في حقه، فمحمول على من وثق بأنه يجمعه من الحلال الذي يأمن خطر المحاسبة عليه؛ فإنه إذا أنفق حصل له ثواب ذلك النفع المتعدي، ولا يتأتى

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٦٢٣.

(٢) يزيد بن عبد الله بن الشخير العامري البصري، أخو مطرف، روى عن أبيه: وأخيه، وعمران بن حصين، وعثمان بن أبي العاص، وعائشة، وأبي هريرة، وعياض بن حماد، وأحنف بن قيس. وروى عنه: قتادة، والجريري، وخالد الحذاء، وسليمان التيمي، وكهمس بن الحسن، وقرّة بن خالد، وآخرون. وكان أحد العلماء الأثبات، توفي سنة ثمان ومائة، وقيل سنة إحدى عشرة. انظر: تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٧/ ٢٩٣) و تقريب التهذيب (٢/ ٦٠٢).

(٣) الرضف: الحجارة المحماة، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ( (رضف) الراء والضاد والفاء أصل واحد يدل على إطباق شيء على شيء. فالرَضْفَةُ: عظمٌ منطبقٌ على الرُّكْبَةِ. فَأَمَّا الرُّضْفُ فحجارةٌ تُحْمَى، يُوغَرُ بِهَا اللَّبَنُ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ بِحَجَرٍ وَاحِدٍ. ) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (٢/ ٤٠١).

(٤) (نغض) النون والغين والضاد أصلٌ صحيح يدلُّ على هَزٍّ وتحريك .... التَّاغُضُ والتَّغْضُ: غرضوف الكُتِفِ. سُمِّيَ لِاضْطِرَابِهِ، وَيَكُونُ لِلأُذُنِ أَيْضًا. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (٥/ ٤٥٤).

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب ما أدى زكاته فليس بكثرة، حديث رقم: ١٤٠٨ (٢/ ١٠٨).

(٦) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا.

(٤) العصبية الجاهلية لملة الآباء والأجداد من الكفر والشرك والبدع:

(٦) سورة البقرة : ١٧٠.



والمطاردة و الغزو ومحاولات القتل، ومن مواقف السنة في توضيح علاقة الداعية بالمدعو، وأثر العصبية الجاهلية في سوء الخاتمة، موقف النبي ﷺ مع عمه أبي طالب عن ابن المسيب عن أبيه «أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل — فقال: أي عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك، ما لم أنه عنه. فتركت: ( مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ )<sup>(١)</sup> ونزلت (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ )<sup>(٢)</sup> نقل ابن الجوزي في كتابه زاد المسير في علم التفسير: ( قال الزجاج: أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب. وفي قوله: {مَنْ أَحْبَبْتَ} قولان. أحدهما: من أحببت هدايته. والثاني: من أحببته لقربته. {ولكن الله يهدي من يشاء} أي: يُرشد لدينه من يشاء {وهو أعلم بالمهتدين} أي: من قدر له الهدى )<sup>(٣)</sup> ومن فوائد هذا الموقف أن الداعية يجب عليه أن يستمر مع المدعو في دعوته إلى الحق إلى آخر لحظة من حياته ولا ييأس من عدم الاستجابة فيكون بذلك أدى الواجب، ومن لطف الداعية وصدق دعوته الحزن على عدم استجابة المدعو، وخاصة إن كان ممن عرف بالخير والمعروف والنجدة، وأبو طالب عم النبي ﷺ كان كذلك، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحاح<sup>(٤)</sup> من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه»<sup>(٥)</sup>.

## ٥) الثأر وجناية الباطل:

إن الثأر من نتائج العصبية الجاهلية، ويؤدي إلى سفك الدماء وانتهاك الحرمات، وإشعال الحروب، وقتل الخير وحياة الشر، وإن كان الثأر عظيم الفساد في الجاهلية، فهو أعظم عندما يكون في محاربة الدين الحق وحماية الشرك والباطل، فإن الثأر يخرج من وعاء الحق، ومتى تمكن من قلب الشخص أصبح حائلاً له عن رؤية الحق والاستجابة إليه، حيث يقضي على المحبة التي لها الأثر الكبير في الاستجابة للدعوة الحققة، فإن محبة الانتقام غيلة محبة الخير والوئام، وموقف المشركين بقيادة أبي سفيان من الثأر ليوم بدر في غزوة أحد،

(١) سورة التوبة : ١١٣ ..

(٢) سورة القصص : ٥٦ .

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ، حديث رقم : ٣٨٨٤ (٥/٥١).

(٤) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤ هـ، ج ٦، ص: ٢٣١ - ٢٣٢.

(٥) من (ضحح) ( والضَّحْضَاحُ في الأصل ما رَقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين واستعاره للنار. انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٢٤/٢).

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب قصة أبي طالب، حديث رقم : ٣٨٨٥ (٥/٥٢).

أمد في عدم استجابة قريش والقبائل لدعوة الرسول ﷺ سنين عديدة، مات من مات فيها على الكفر والشرك ولو كان لهم عبرة بنصر الله الحق على الباطل يوم بدر لكان خيرا لهم، ولكن الانتقام وحب الثأر جعل الأمر في الإعراض يستمر، عن ابن مسعود رضي الله عنه: « أن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين، فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر أنه ليس أحد منا يريد الدنيا، حتى أنزل الله عز وجل ( مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ) <sup>(١)</sup> فلما خالف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسعة، سبعة من الأنصار ورجلين من قريش وهو عاشرهم، فلما رهقوه، قال: رحم الله رجلاً ردهم عنا، قال: فقام رجل من الأنصار فقاتل ساعة حتى قتل، فلما رهقوه أيضاً، قال: يرحم الله رجلاً ردهم عنا فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه: ما أنصفنا أصحابنا، فجاء أبو سفيان فقال: أعل هبل، فقال رسول الله ﷺ: قولوا: الله أعلى وأجلّ، فقالوا: الله أعلى وأجلّ، فقال أبو سفيان لنا: عزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: قولوا: الله مولانا والكافرون لا مولى لهم، ثم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر يوم لنا ويوم علينا، ويوم نساء، ويوم نُسِر، حنظلة بحنظلة، وفلان بفلان، وفلان بفلان، فقال رسول الله ﷺ: لا سواء، أما قتالنا فأحياء يُرزقون، وقتالكم في النار يُعذبون، قال أبو سفيان: قد كانت في القوم مثله، وإن كانت لعن، غير ملاء <sup>(٢)</sup> منا، ما أمرت ولا نهيت، ولا أحببت ولا كرهت، ولا ساءني، ولا سرتني، قال: فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها، فقال رسول الله ﷺ: أأكلت منه شيئاً؟ قالوا: لا، قال: ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار، فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى، وجيء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه، فرفع الأنصاري وترك حمزة، ثم جيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى عليه، ثم رفع وترك حمزة، حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة <sup>(٣)</sup>. وفي موقف أبي سفيان من المثلة محبة للانتقام والثأر، وفي موقف هند بنت عتبة محبة للحقد والثأر قد كانت في القوم مثله، وإن كانت لعن، غير ملاء منا، ما أمرت ولا نهيت، ولا أحببت ولا كرهت، ولا ساءني، ولا سرتني، قال: فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها) وكلاهما لم يسلمتا حتى تمكن الإسلام بالقوة من رقاب المشركين يوم فتح مكة بعد خمس سنين من غزوة أحد. وأسلما يوم الفتح وحسن إسلامهما رضي الله عنهما .

(١) سورة آل عمران : ١٥٢ .

(٢) يقال: وما كان هذا الأمر عن ملاء منا، أي: مملأة ومشاورة . انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٩١/١٥) .

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٤٤١٤ (٤١٨/٧) . تعليق شعيب الأرنؤوط عل المسند: حسن لغيره. وروى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير . قال: ووضعهم موضعاً وقال: ( إن رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ) .. الحديث .

## ٦) عنفوان السلطة وجبروت الشر في النفس:

إن المحبة الغائرة في الانحراف من أكبر عوائق الاستجابة لدين الله تعالى في قديم الزمان وحديثه، وتظهر في الطغيان والجبروت سواء كان هذا الطغيان ناتج عن صفات ذاتية أو عن عقائد فاسدة أو أنظمة جائرة، تتمثل في الغرور والاستكبار؛ فقد وقف أمام الأنبياء عليه الملام من أقوامهم حرباً على الدعوة إلى الله فصدوا الناس عن سبيل الله، بل عُدَّ الضعفاء والشرفاء تحت وطأة الظلم حينما استجابوا لدعوة الحق، وليس من إزالة لهذا الطغيان إلا بأساليب ثلاثة: الصبر على الأذى، والهجرة، وإعداد القوة للجهاد في سبيل الله، وهذه السبل هي الأصل لغيرها، وقوة الله هي الغالبة بالإيمان به ودعائه والتوكل عليه، وكم ملئت السجون بالمسلمين في هذا العصر بسبب الاستجابة لدعوة الإسلام أو بسبب مواجهة الجبابرة وقوى الظلم للمد الإسلامي أو بسبب الأطماع الاقتصادية أو عنفوان السلطة، وتجاوز عدد القتلى الآلاف إلى الملايين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعندما ترى ما تبثه وسائل الإعلام المرئية من أحداث القتل والدمار، لا توصف إلا بالوحشية وانعدام القيم الإنسانية، وقد نقل لنا رسول الله ﷺ صورة من صور الجبروت والطغيان والشر، التي هزمتها قوة الإيمان بالصبر، لنأخذ منها درساً أن الخير غالب للشر، وأن الصبر كالسيف في اليد يمسكه المسلم بقلبه ليقاتل في سبيل الله، فيقتل شهيداً عزيزاً، أو يغلب في معركة الطغيان والظلمة وهو منتصر في الحالين، والصبر سلاح الداعية إلى الله وسلاح المدعو إلى الحق؛ حينما تفقد القوة المادية من السلاح والعتاد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها، أتت علي رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى من يديها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها فقال: يا فلانة، وإن لك رباً غيبي؟ قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر ببقرة نحاس، فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق، قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مريض، وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمه اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقترحت. قال: قال ابن عباس «تكلم أربعة صغار عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون»<sup>(١)</sup>. وقد تقدم الحديث عن أصحاب الأخدود في قصة الغلام والملك الكافر الظالم ويتكرر المشهد - صبر المدعو - كما في قصة ماشطة ابنة فرعون: ((فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند بني هاشم - مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، حديث رقم: ٢٨٢١ (٣٠/٥). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

بِرَبِّ الْغُلَامِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ، وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ. قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأَخْذِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَّ فَخُذْتُ وَأَضْرَمَ النَّيرانَ. وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا. أَوْ قِيلَ لَهُ: افْتَحِم. فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا. فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا. فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمِّهِ اصْبِرِي. فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ»<sup>(١)</sup>.

#### ٧) التمادي في المعاصي والغفلة عن التوبة:

إن الدعاة في حرص دائم على هداية المدعوين إلى الحق والخير والهدى، وكما أن للتربية الأسرية والرفقاء الأثر البالغ في شخصية المدعو؛ فإن طبيعة الذنب الذي يقيم عليه الشخص يمثل عائقا أما استجابته للداعية، وتمثل العلاقة بين المدعو وممارسته للذنب أمرا نسبيا يختلف باختلاف الأفراد والذنوب، وكذلك الذنوب نفسها تمثل فوارق مختلفة في أثرها على المدعو فهناك فرق بين الشرك وسائر الذنوب، وفرق بين من أدمن على المخدرات وبين من لازم المشروبات والحبوب المخدرة، وفرق بين من يمارس الزنا على بكورة وبين من يمارسه على إحصان، وكذلك آفات اللسان وجرائم المال وغيرها. ولا يخفى على الدعاة إلى الله أن التمادي في المعصية يؤدي إلى الغفلة عن التوبة، وارتباط المدعو بالذنب يكون عائقا أمام هدايته، فلا بد من دراسة نفسية المدعو وبث الأمل فيها، وتكوين خطوات عملية تصرفه عن الذنب حتى يستطيع التخلص منه، ومن أعظم آيات الله تعالى في القرآن الباعثة للأمل آية الزمر وآية الفرقان، قال الله تعالى: ( قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ )<sup>(٢)</sup> وبهذه الآية يفرح المؤمنون التائبون ويحبونها حبا عظيما؛ لما أوضحت عنهم من ثقل المعاصي والذنوب، التي تمثل عائقا أمام توبتهم، عن ثوبان عليه السلام مولى رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أحب أن الدنيا وما فيها بهذه الآية ( قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ) فقال رجل: يا رسول الله فمن أشرك؟ فسكت النبي ﷺ، ثم قال: إلا من أشرك - ثلاث مرات -»<sup>(٣)</sup>. أما آية الفرقان فهي سلوان المذنبين لما علموا من فضل الرحمن الرحيم الذي وعد بإبدال سيئاتهم حسنات، وامتن عليهم بالكرم الذي اتصف به على وجه يليق بجلال عظمتهم وجميل صفحه قال الله تعالى: ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٦﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق - باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم: ٧٧٠٣.

(٢٢٩/٨).

(٢) سورة الزمر: ٥٣.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار ﷺ، حديث رقم: ٢٢٣٦٢ (٤٥/٣٧). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَتْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا<sup>(١)</sup> أما الشرك الأكبر فهو أعظم الذنوب ولا يزول خطره إلا بالدخول في الإسلام ، فإن الإسلام يجب ما قبله، ومن مات عليه فقد استحق عدم المغفرة وضل ضالالا مبينا، قال الله تعالى: ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا )<sup>(٢)</sup>

## ٨) الاستعلاء وعدم قبول النصيحة:

إن من عوائق الاستجابة لدى كثير من المدعوين الفهم الخاطئ وعدم فقه أمور الحياة، فتجده لا يحب الناصحين ويلزم صحبة الغاوين، وهذا ينتج من مرض نفسي هو الاستعلاء والغفلة، وإذا نصح وقيل له: اتق الله أخذ يتظاهر بتزكية نفسه وسفاهة من ينصحه، ويزداد إقداما على المعصية، قال الله تعالى: ( وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ )<sup>(٣)</sup> وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ<sup>٤</sup> وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ<sup>(٥)</sup> وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ آلَمَهُادُ<sup>(٦)</sup>، وعن الحارث بن سويد عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله: إن أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وإن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل: اتق الله فيقول: عليك نفسك<sup>(٧)</sup> وبعد أن بين القرطبي في تفسيره أن هذه صفة الكافر والمنافق الزاهي بنفسه قال: (وقيل: العزة هنا الحمية، ومنه قول الشاعر:

أَخَذَتْهُ عِزَّةٌ مِنْ جَهْلِهِ \*\*\* فتولى مغضبا فَعَلَ الضَّجْرَ

وقيل: العزة هنا المنعة وشدة النفس، أي اعتز في نفسه وانتحى فأوقعته تلك العزة في الإثم حين أخذه وألزمته إياه. وقال قتادة: المعنى إذا قيل له مهلا ازداد إقداما على المعصية، والمعنى حملته العزة على الإثم. وقيل: أخذته العزة بما يؤثمه، أي ارتكب الكفر للعزة وحمية الجاهلية<sup>(٨)</sup> إن هذا من فساد العقل والنفس فيجب على الدعاة إلى الله اختيار الأسلوب المناسب مع هذه النوعية من المدعوين ولعل النصيحة الفردية واختيار الوقت المناسب لهؤلاء أجدى من غيرهم، وكذلك فإن الفعل أجدى من القول معهم واستخدام الأمور المادية أنفع من الأمور المعنوية، فلو ذهب لآكل الربا بهدية في بيته ومناصحته بطريقة غير مباشرة

(١) سورة الفرقان: ٦٨ - ٧٠.

(٢) سورة النساء: ١١٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٤) انظر: السنن الكبرى للنسائي - كتاب عمل اليوم والليلة - ثواب من سبح لله مائة تسبيحة، حديث رقم: ١٠٦١٩ (٩/٣١٣). قال الألباني: وهذا إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن الأصبهاني وهو ثقة ثبت من شيوخ البخاري.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ، ج ٣، ص: ١٩.

بسرود قصة قارون ومصيره لكان أنفع، وتكرار الزيارة وبيان أحكام المال في الإسلام دون المساس به شخصيا لكان أجدى في إزالة عائق العزة بالإثم من طريق استجابته. والله أعلم.

#### ٩ - الفتن :

قال الله تعالى: ( أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَافَتَكُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا <sup>(١)</sup>

هنا قاعدة عظيمة في تحقيق الأمن والوئام في المجتمع المسلم، وهي أن يوكل كل أمر لأهله، حتى لا تختلط الأمور، ويفقد المجتمع التوازن باختلاط الأفهام، وبروز الخلاف على الساحة الاجتماعية فيتسلط المنافق، ويتسلل العدو، وتهدم قوة المجتمع المسلم، فمن ضرورة الأمن الفكري والاجتماعي الحرص على الوحدة واللحمة بين المسلمين، ذكر الشيخ السعدي في تفسيره المعاني والدروس الهامة لكل مسلم، والمستنبطة من هذه الآية، وهي للداعية والمدعو أقرب، فقال: ( هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرضا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: { لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة. وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يوكل من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقدم عليه الإنسان؟ أم لا. فيحجم عنه <sup>(٢)</sup> إن الفتن تعد معوقا أمام الاستجابة للدعوة عندما ينصرف المرء بجمه وهمته في الانشغال بها عن الحق سواء كانت الفتن الحادثة في المجتمع، أو الفتن الناتجة عن المحبة الفطرية، كفتنة الإنسان بماله وولده أو في طلب شهوته من زينة الحياة الدنيا، أو كانت في كراهة فتن الزمان العارضة كفتن الكوارث من الزلازل والحروب والبراكين أو فتن الشبهات ومحاربة الدين، وقد وصفها النبي ﷺ بسواد الظلام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَتَنَّا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ

(١) سورة النساء: ٨٢ - ٨٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ١٩٠.

مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا أَوْ يُؤْمِسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>. وقال الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)<sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)<sup>(٣)</sup> فيجب على المرء أن يدرك التعامل الشرعي الصحيح مع الفتن، إن كانت فطرية فإن عليه التوازن في المحبة فلا إفراط ولا تفريط، وإن كانت فتن الكوارث فإن عليه الصبر والبعد عن مواطنها والتمسك بالجماعة، وإن كانت فتن في الدين فعليه لزوم الصبر والعلم وألا يذكي لها نارا، فإن لزم بيته وإلا هاجر في سبيل الله، حيث المأمن حفاظا على دينه، قال الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٥﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَتَّخِذُونَ سَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٧﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمِجْ فِي الْأَرْضِ مُرَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴿١٨﴾ وَقَدْ أَبَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُوعَهَا وَشَدَقَهَا عَلَى أَصْحَابِهَا، حتى يكره الحياة ويتمنى الموت، ليس به حب الآخرة وشوقا لما فيها من الثواب، بل هروبا من قسوة الفتن التي يتعرض لها في الدنيا، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه ما به حب لقاء الله عز وجل»<sup>(٤)</sup>. قال ابن بطال كما نقل ابن حجر العسقلاني في الفتح معلقا على قوله ( قال ابن بطال: تغبط أهل القبور وتمنى الموت عند ظهور الفتن، إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله، وظهور المعاصي والمنكر. انتهى. وليس هذا عاما في حق كل أحد، وإنما هو خاص بأهل الخير، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو ديناه، وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه )<sup>(٥)</sup>. وهنا نعلم أن من مهمات الداعية، أن يوجه المدعويين إلى الطريق الصحيح في التعامل مع الفتن، وعلى المدعويين أن يفقهوا أن الفتن معوقا أمام

(١) انظر صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن حديث رقم: ٣٢٨ (٧٦/١).

(٢) سورة الحج : ١١.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٤) سورة النساء: ٩٨ - ٩٩.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة ؓ، حديث رقم: ١٠٨٦٦ (٥٠٣/١٦). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فزاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة ،

١٣٧٩ هـ، ج ١٣، ص: ٧٥.

استجابتهم للحق؛ فيستبصروا بالمنهج النبوي في التعامل مع الفتن بالاستعاذة من مضلات الفتن، وهجرها والصبر على شدتها.

#### ١٠ - غرور الحياة الدنيا:

إن جميع المعوقات والعقبات التي قد تقف حائلاً أمام استجابة المدعوين للدعوة، وتمثل حاجزاً عن الاستقامة على طريق الله المستقيم، إنما هي فروع من غرور الحياة الدنيا، وأفردت بعضها بالذكر سلفاً؛ لشدة خطرها على الإنسان، وقوة أثرها على نفسه، إذا لم يتحرر المحبة المعتدلة فيها. أما المنظومة الشاملة للحياة البشرية على الأرض بجميع الموجودات فيها، فهي أم العقبات وأصل المعوقات، إذا لم يراع المسلم خطرها، ويحذر من غرورها، فقد وصفها الله تعالى بأنها متاع الغرور، حيث الاغترار بها، يعد مزية قدم في الآثام، وسبب في الإعراض عن الاستجابة لأمر الله ورسوله و حجر عثرة في طريق القيام بالطاعات ، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا تَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ) <sup>(١)</sup> وقال الله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) <sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) <sup>(٣)</sup> فإن الدنيا هي الأولى في حياة البشر، ومن هنا أخذ اسمها، لقربها، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (دني) الدال والنون والحرف المعتل أصل واحد، يُقاس بعضه على بعض، وهو المقاربة. ومن ذلك الدني، وهو القريب، من دنا يدنو. وسُميت الدنيا لدنوها، والنسبة إليها دُنياوي <sup>(٤)</sup> ونقيض الدنيا الآخرة، وهي من (آخر) وعند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (الهمزة والحاء والراء أصل واحدٌ إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم) <sup>(٥)</sup> والآخر الذي ليس بعده مُنتظر، وقد بين الله تعالى لنا حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة في كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ. وهذه الحقيقة لا يدركها إلا من تدبر وتأمل في سائر الأمور الكونية والشرعية، ليفهم علة وجوده في الحياة الدنيا، وصلة ذلك بمصيره في الآخرة؛ فأمن بالله واليوم الآخر وأسلم دينه لله. أما من كفر بالله والدار الآخرة فقد ضل وخسر، قال الله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) <sup>(٦)</sup> قال ابن كثير في تفسيره (أخبر تعالى عن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به: أنه قد غَضِبَ عليه، لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة؛ لأنهم استحَبوا الحياة الدنيا على

(١) سورة النور: ١٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٣) سورة الرعد: ٢٦.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٢. ص ٣٠:

(٥) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ١. ص ٧٠:

(٦) سورة النحل: ١٠٦ - ١٠٧.



الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا، ولم يهد الله قلوبهم ويشبتهم على الدين الحق، فطبع على قلوبهم، فلا يعقلون بها شيئاً ينفعهم، وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها، ولا أغنت عنهم شيئاً، فهم غافلون عما يراد بهم. { لَا جَرَمَ } أي: لا بد ولا عجب أن من هذه صفته، { أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } أي: الذين خسروا أنفسهم وأهاليهم يوم القيامة <sup>(١)</sup> وأما من اغتر بزينة الحياة الدنيا، وغفل عن الواجبات الشرعية، فقد ظلم نفسه وحسر، وقد يتعدى بهم الأمر إلى الكفر والصد عن سبيل الله، قال الله تعالى: ( اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۚ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۖ أُولَٰئِكَ فِي ضَلٰلٍ بَعِيدٍ ) <sup>(٢)</sup> قال الإمام الطبري في تفسيره: ( يعني جل ثناؤه بقوله: (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) الذين يختارون الحياة الدنيا ومتاعها ومعاصي الله فيها، على طاعة الله، وما يقرّبهم إلى رضاه من الأعمال النافعة في الآخرة. ( وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) يقول: ويمنعون من أراد الإيمان بالله واتباع رسوله على ما جاء به من عند الله، من الإيمان به واتباعه. ( وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ) يقول: ويلتمسون سبيل الله، وهي دينه الذي ابتعث به رسوله ( عِوَجًا ) تحريفاً وتبديلاً بالكذب والزور. وقول الله عز ذكره: ( أولئك في ضلال بعيد ) يعني هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة. يقول: هم في ذهاب عن الحق بعيد، وأخذ على غير هدى، وجور عن قصد السبيل <sup>(٣)</sup> ووجوه المقارنة بين الدنيا والآخرة كثيرة بين أطراف وبين تشابه وبين تناقض، فمن وجوه الأطراف؛ فإن الدنيا قبل الآخرة زمناً، والدنيا دار عمل وانتقال والآخرة دار جزاء وقرار، ومن أوجه التشابه، أن ما نرى في الدنيا من أشياء بها المتاع، فإنها في الآخرة بمسمياتها وتختلف في العدد والكيفية، ومن أوجه التناقض بين الدنيا والآخرة، أن الدنيا فانية والآخرة باقية. وقد أمرنا الله تعالى أن نتزود بالأعمال الصالحة في الحياة الدنيا لنسعد بالجنة ونعيمها في الآخرة. وحذرنا من إيثار الدنيا على الآخرة، قال الله تعالى: ( كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۖ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ) <sup>(٤)</sup> قال الإمام الطبري في تفسيره: ( يقول تعالى ذكره لعباده المخاطبين بهذا القرآن، المؤثرين زينة الحياة الدنيا على الآخرة: ليس الأمر كما تقولون أيها الناس من أنكم لا تبعثون بعد مماتكم، ولا تجازون بأعمالكم، لكن الذي دعاكم إلى قيل ذلك محبتكم الدنيا العاجلة، وإيثاركم شهواتها على أجل الآخرة ونعيمها، فأنتم تؤمنون بالعاجلة، وتكذبون بالآجلة ) <sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٦٠٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٢ - ٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٦، ص: ٥١٤.

(٤) سورة القيامة: ٢٠ - ٢١.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٤، ص: ٧٠.